سلسلة سورة المائدة (٢ـ ٤)

دروس من هدي القرآن الكريم

سورة المائدة

الدرس الثاني

ألقاها السيد/ حسين بدر الدين الحوثي

بتاريخ ١٤/١/٢٠٠٢م

اليمن ـ صعدة

هذه الدروس نقلت من تسجيل لها في أشـرطة كاسيت، وقد ألفيت ممزوجة بمفردات وأساليب من اللهجة المحلية العامية.
وحرصاً منا على سهولة الاستفادة منها أخرجناها مكتوبة على هذا النحو.
والله الموفق.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله الطاهرين .

أي شيء مهما كان مهماً ، مهما كان عظيماً لا بد أن يسمع الإنسان حوله كلاماً معاكساً ، كلاماً مثبطاً ، كلاماً مشوهاً، والقرآن الكريم عرض علينا نماذج مما حصل ، القرآن الكريم هو كتاب من عند الله سبحانه وتعالى وهو أعظم كتبه التي أنزلها إلى عباده ، ماذا قال الآخرون عن القرآن ؟ . {إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ} (المدثر: ٢٤) {وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلاً . قُلْ أَنْزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ} (الفرقان : ٥-٦) جاء الأنبياء من عند الله سبحانه وتعالى نعمة للبشر ، هدى للعالمين ، كل أمة كان يأتي من بينها نبيها ، وقد يكون الكثير يقول للنبي الذي هو أكمل الناس عقلاً وأزكاهم نفساً: مجنون شاعر ، مفتري ، كذاب ، ساحر . هذه أيضاً عرضها القرآن الكريم ؛ لأنه لم يحدث أن أرسل رسولٌ إلى أمة إلا وجاء من بينها من يقول مجنون أو ساحر {مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُرِيدُ أَنْ يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ} (المؤمنون: من الآية ٢٤) أن يتكبر عليكم .

العبرة في هذا هو أن تفهم أنه من الطبيعي أن تسمع أمام كل شيء مهما كان عظيماً أن تسمع كلاماً يعمل على الحط من مكانته وتشويهه وإبعاد الناس عنه ، ماذا قالوا لرسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) وهو سيد البشر ، سيد الأنبياء والمرسلين الكامل في نفسه، الزاكي في نفسه الحريص على هداية البشر ، الناصح العظيم لهم قالوا عنه: [مجنون ، مفتري ، ساحر ، شاعر ، كذاب ، مفتري على الله] يسخرون منه أحياناً {أَهَذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولاً . إِنْ كَادَ لَيُضِلُّنَا عَنْ آلِهَتِنَا لَوْلا أَنْ صَبَرْنَا عَلَيْهَا } (الفرقان: ٤١-٤٢) لقد كاد أن يغوينا لولا أننا كنا رجالاً وتمسكنا بآلهتنا .

هذا الموضوع طرحناه سابقاً وقلنا أنه من العجيب أن نكون نحن المسلمين ولدينا كتاب الله سبحانه وتعالى وهذا الدين العظيم دين الإسلام ورسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) ثم لا يحصل لدينا حمية لهذا القرآن ولذلك النبي العظيم ولهذا الدين العظيم مثل ما كان يحصل عند بعض عبّاد الأصنام، الله ذكر قصة قوم نبيه إبراهيم عليه السلام عندما كان يذهب كل واحد منهم يقطع حطباً حتى جمعوا جبلاً من الحطب كان لديهم اهتمام ،{قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانْصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ } (الأنبياء: ٦٨) ليس الوقت وقت النوم الأصنام في خطر، وهم منذ لحظات رأوا أصنامهم محطمة ، كذلك هؤلاء في أيام رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) يقولون {أَهَذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولاً . إِنْ كَادَ لَيُضِلُّنَا عَنْ آلِهَتِنَا لَوْلا أَنْ صَبَرْنَا عَلَيْهَا} (الفرقان: ٤١-٤٢) لو لم نقف وقفة رجال عندها لكسرها ، ويقول الله عنهم {وَانْطَلَقَ الْمَلأ مِنْهُمْ أَنِ امْشُوا وَاصْبِرُوا عَلَى آلِهَتِكُمْ} (ص: من الآية ٦) امشوا، تحركوا، اصبروا على الآلهة، جاهدوا في سبيلها ، كافحوا في سبيلها ، لا تتركوها تتعرض لأي كلام يصرف الناس عن عبادتها ، مع أنها أحجار مركزة أو أخشاب منصوبة لا قيمة لها ، فكيف بالمسلمين وإلههم رب العالمين الذي سيقف معهم إذا وقفوا ، سينصرهم إذا نصروه ، سيضربهم إذا توانوا .

نعود إلى صلب الموضوع ، وهو أنه هكذا تسمع في كل زمان أمام كل عمل مهما كانت الأمة في أمس الحاجة إليه في مرحلة من مراحل تاريخها ، وفي أي جهة كانت مهما كانت عظيمة لا بد أن يأتي من هنا وهناك من يتكلم ، من يثبط ، من يشوه ، من يحارب ، هذا شيء ذكره القرآن الكريم وليس فقط في آية أو آيتين بل في آيات كثيرة ، لأن معرفة هذا نفسه يمثل جانباً مهماً من وعي القضية وفهمها ، أن تعرف أنك قد تسمع كلاماً على هذا النحو من جهات أخرى ، فليكن لديك ، ولتكن على مستوى تجعل ذلك الكلام لا أثر له عندك .

الكلام لا يخلو عن إما أن يكون تخويفاً أو يُقدم بأسلوب نصح من جانب الذين يواجهون أي عمل مهما كان عظيماً ، فليكن لديك قاعدة ثابتة، عندما يخوفونك فلتعلم أن الله هو الذي يجب أن تخافه، الله هو الذي يجب أن تخشاه لأنه هو القادر على أن يضر بك ولا يحول أحد دون إرادته فيك ، هو الذي يمتلك جهنم، هو الذي بيده جهنم ـ الذي يخوفك بأي شيء أخر ـ هل هناك ما يمكن أن يرقى إلى درجة البقاء يوماً واحداً في جهنم ؟ . ليس هناك أي شيء يساوي غمسة واحدة في نار جهنم ، إذاً تخوفني بماذا ؟ . يجب أن أخاف من لا أستطيع أنا ولا غيري يستطيع أن يصرف عني عذابه وسخطه ومقته .

كان جواب نبي الله إبراهيم عندما كانوا يخوفونه بأنه ستضره الأصنام وسيحصل عليه كذا قال {وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُمْ بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَاناً فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ }؟ (الأنعام: من الآية ٨١). تخوفوني بماذا ؟ . أنتم الذين يجب أن تخافوا وأنتم تشركون بالله ، أنتم من تتعرضون للخطورة العظيمة لنار جهنم ولسخط الله .

لاحظوا نبي الله إبراهيم كيف كان إنساناً واعياً على درجة عالية من الوعي ، انطلق من مقاييس المقارنة ، من قواعد ثابتة لديه، يخوفونه بهذا ويخوفونه بهذا، وكل تخويف يبدو تخويفاً بشيء لا يشكل خطورة مع المقارنة بما يجب أن نخافه من قِبَل الله سبحانه وتعالى {فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ} ؟ . أنت تريد أن تخوفني من أجل أن تدفع بي إلى جانب الأمن ، أليس كذلك ؟ . وأنا أخوفك بالله أريد أن أدفعك إلى جانب الأمن {فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ} ؟ . فأي الفريقين يصح أن يقال هو الآمن ؟ . من يكون في واقعه آمناً من عذاب الله وسخطه أو من يحاول أن يأمن من عذاب الناس وسخطهم ، ويوقع نفسه في عذاب الله وسخطه ، هل هو أَمِنَ ؟ . لم يأمن ، أمن من شيء في الواقع لا يقارن بينه وبين ما يمكن أن يحصل من قبل الله سبحانه وتعالى ؛ ولهذا جاءت الآية بالسخرية من التخويف بشيء من دون الله {وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِنْ دُونِهِ} (الزمر: من الآية ٣٦) يخوفنك بأنه سيحصل عليك كذا وكذا، أو سيحصل عليك من الأصنام ما يضرك ، لا، أي تخويف بشيء من دون الله لا يشكل خطورة .

فالآمن هو من يأمن من عذاب الله وسخطه ، وكل شر وكل عذاب ، وكل أمر مخوف هو دون جهنم لا قيمة له ، بل هو بالنسبة للواعين الفاهمين للخطورة العظيمة التي يجب أن يأمنوا منها ، أنه إذا لم يحقق له الأمن من عذاب الله إلا أن يخوض هذه الغمار التي تبدو مخيفة للكثير ، يخوضها بارتياح ؛ لأنها لا تشكل شيئاً بالنسبة لما يخاف منه ، وسيكون خوضها مما يحقق له الأمن يوم القيامة ، الأمن من نار جهنم ، الأمن من أهوال القيامة ، الأمن من شدة الحساب ؛ ولهذا قال الله لرسوله (صلوات الله عليه وعلى آله) ليخاطب الناس {قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ} (الأنعام: ١٥) هذا الذي يخيفني ، فلا بد أن أنطلق في طاعته، وفيما يحقق لي الأمن من ذلك الشيء المخيف من نار جهنم، مهما كان الأمر، لا يقعد بي أي أمر مخيف من أمور الدنيا، أي شيء مخيف على أيدي الآخرين، أو ألسنة الآخرين {أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ} .

هذا فيما يتعلق بجانب التخويف أن يكون لديك قاعدة ثابتة من ينطلق ليخوفك كيفما كان هدفه من تخويفك فارجع إلى القرآن الكريم تعرف ما هو الأمر الذي يجب أن تخافه فعلاً وبيد من هو ؟ . هذه واحدة ، والتأمل في القرآن الكريم عندما تتلو القرآن الكريم تجد ما كان يحصل من تخويف للأنبياء للمصلحين ، وكيف كانوا يواجهون من يخوفونهم بأنهم يخوفونهم بلا شيء بما ليس مخيفاً مقارنة بما يجب أن نخافه مما هو بيد الله ، الله القاهر فوق عباده ، الذي لا يستطيع أحد أن يحول بينك وبين أن يوقعك في هذا الأمر المخوف، نار جهنم .

أليس الإنسان يولد رغماً عنه ؟ . ثم يموت رغماً عنه ؟ . وستبعث أنت رغماً عنك ، وتساق إلى المحشر رغماً عنك ، وتساق إلى جهنم إذا كنت من أهلها رغماً عنك ، من الذي يستطيع أن يسحبك من أيدي الملائكة وهم يسوقونك إلى جهنم ؟ . لا أحد ؛ لأن من كان يملك أعظم قوة في هذه الدنيا سيأتي يوم القيامة وهو في حالة رهيبة {إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوُا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ} (البقرة: ١٦٦) كل واحد يكون مشغولاً بنفسه، من كان هنا يمثل في الدنيا قوة جبارة من المجرمين سيأتي يوم القيامة وهو أكثر الناس خوفاً ورعباً وانشغالاً بنفسه .

فالقرآن الكريم يثقفنا ويعلمنا كيف يجب أن نواجه من يخوفنا بما دون الله ، هذه واحدة ؛ لأنه في هذا الجانب الله هو الجبار ، الله هو الذي بطشه شديد {إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ} (البروج: ١٢) .

ثم لنعد إلى الجانب الأخر الذي قد نفسر به كلام من يتكلم معنا ليثبطنا عن أي أمر من الأمور التي هي طاعة لله سبحانه وتعالى وأداء لمسئولية أمامه في مجال نصر دينه أن يكون يتحدث معك من جانب أنه ناصح ، وأنه شفيق عليك ، وأنه رحيم بك ، فتأتي شفقته ونصحه ورحمته بك متركزة على أن لا تتحرك في أمر من هذه

الأمور ، نعود إلى القرآن الكريم لنحصل من خلاله على ما يجعلنا واعين أمام هذا الطرح ، القرآن يعلمنا بأن الله الذي يأمرنا ويرشدنا لمختلف الأعمال الصالحة مهما بدت أمامنا ثقيلة على أنفسنا أنه فيها ومن خلالها تتجسد رحمته بنا ، أليس هو الرحمن الرحيم ؟ . هو الرحيم بعباده ، هو الناصح لعباده ، هو اللطيف بعباده ، هو الخبير بما يصلح عباده، إذاً فأثق به فعلاً ولأقل لأي شخص ــ سواء قلت له مشافهة أو أقول له بلسان الحال ــ : إن الله هو أرحم بي منك، الله هو أنصح لي منك حتى وإن كنت رحيماً وإن كنت ناصحاً فقد توقعني في الهلكة من حيث لا تشعر أما الله سبحانه وتعالى فهو رحيم بعباده رحيم بنا ، وهو الذي يعلم ما هو فعلاً رحمة بنا ويحقق لنا الأمن .

هناك في القرآن الكريم ـ إذا كنت تتدبر آياته وتعي وتفهم ، وتريد أن يكون لك موقف في هذه الحياة ـ ستجد من خلاله ما يحول بينك وبين أن تتأثر بأي كلام يقال للتثبيط أو للصرف عن قضية فيصورها لك بأنها تبدو غير ذات أهمية. مثلاً ولاية الإمام علي عليه السلام قد يأتي من يقول: [ما أهمية قضية ولاية الإمام علي بن أبي طالب في إعطاء عمل معين إيجابية كبرى ؟ أو في حل مشاكل المسلمين في هذا العصر الذي بينهم وبين علي ألف وأربع مائة سنة ؟ ، علي الله يرحمه قد قتل في الزمان الغابر ونحن نتولاه لكن لا يصح أن نشغل أنفسنا بأولئك أو نفرق الآخرين عنا من أجل علي أو . . أو] يأتي كلام مثل هذا بل أمام أهل البيت متى ما تحدث الإنسان عن أهل البيت يقول : [ليس وقت الحديث عن أهل البيت نحن مشغولون بالناس] أليس هكذا يحصل ؟ . يتكلم معك عن قضية هي مهمة ليصرفك عنها وقد يكون بحسن نية ، لكنه كلام ينبئ عن جهل بأهمية الأمور وعلاقة بعضها ببعض ، يقول : [ليس وقت الحديث عن هذا الموضوع ، سننفر هذا ، وهذا سيغضب منا ، وهذا سيذهب منا ، وسيجلب علينا مشاكل، المفروض الآن نمشي في عملنا وليس وقت هذا] . ما هي أعمالك؟ أعمالك لا تمشي إلا بهذا الشيء الذي تريد أن ترمي به بعيداً عنك .

الإمام علي عليه السلام كما تحدثنا بالأمس حول عمل الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله) في خيبر وقلنا أكثر من مرة بأن الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله) كان في حركاته إنساناً واعياً على أرقى مستوى يعطي الهداية من كل حركة من حركاته . لمن ؟ . للأمة كلها ، لم يكن فقط همه تلك المجاميع من البشر في عصره في سنوات معدودة محدودة من عمر هذه الأمة ، كان ينظر إلى الأمة بكلها ليرسم لها طريق الهداية ، ألم يكن الإمام علي عليه السلام في أيام خيبر مصاب بالرمد لا يبصر موضع قدميه وهناك من أعينهم مفتحة ، هناك من أعينهم سليمة ليقول للأمة أنها بحاجة إلى علي عليه السلام حتى وإن بدت ــ باعتبار وضعيته ــ غير محتاجة إليه فليس صحيحاً .

أرسل أبا بكر فعاد منهزماً ــ والقضية في مواجهة اليهود ــ ثم في اليوم الثاني أرسل عمر فعاد منهزماً كذلك ، ثم أتى إلى علي عليه السلام ونادى بعلي وهو أرمد ، قد يكون الرمد نفسه يعطينا هداية ،الرمد وهو مرض يتعرض له الإنسان ، أن يُصاب الإمام علي عليه السلام بالرمد في تلك الأيام لها دلالتها المهمة في واقع الحياة بالنسبة للأمة ، أولئك الذين أعينهم سليمة كثيرون لكنه لا بد من علي عليه السلام .

ومن يقول : [نحن الآن مشغولين بمواجهة إسرائيل وأمريكا وليس وقت علي ، علي سلام الله عليه قد قُتل في الزمن الغابر ونحن نحبه ، ومع السلامة ، نحن مشغولون بعمل ، ونحن مشغولون بالإسلام وبمواجهة أمريكا وإسرائيل]. هذه هي جهالة ، أن يكون علي عليه السلام قد مات بالنسبة لنا كما كان أرمد في خيبر بالنسبة لأولئك ، ستحتاج الأمة إلى أن تتولى علياً عليه السلام وإن كان علي عليه السلام قد تحول إلى تراب في قبره ، ستحتاج إلى أن تتولاه لتهتدي ؛ لتسلم قلوبها ، لتسلم في حياتها ، تحتاج إلى أن تتولاه لأن توليه شرط في تأهيل نفسها لتكون من (حزب الله) ما لم فلن يتحقق لها شيء، والله متى ما رسم شيئاً وحدده فلا يمكن أن يكون هناك شيء بديلاً عنه مهما بدا لك أنه يمكن أن يكون بديلاً عنه، فلا يمكن .

{وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ } (المائدة: ٥٦) الذين آمنوا هنا هو الإمام علي عليه السلام، بدون ولاية الإمام علي عليه السلام لن يتحقق هداية، ولن يتحقق للأمة ولأي جماعة وضعية تكون عليها جديرة بأن تسمى بـ(حزب الله) فتحظى بتأييد الله فتصبح هي حزبه الغالب .

كلمة {الْغَالِبُونَ} هي جاءت في ضمن الحديث عن مواجهة اليهود والنصارى وهم أعداء الأمة على امتداد التاريخ، بالنسبة لله سبحانه وتعالى كلنا متفقون على الله، أليس كذلك ؟ . حتى المشركين كانوا يعترفون بالله ، {وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ} (الزخرف: ٨٧). بالنسبة للرسول (صلوات الله عليه وعلى آله) نحن جميعاً متفقون عليه أنه هو محمد بن عبد الله هو رسول الله الذي أنزل الله الكتاب الكريم إليه وهو نبينا ، أليس المسلمون متفقون على هذا ؟ . لكن لله سبحانه وتعالى منهج هداية ينزل بواسطة كتابه ورسوله ، ليست المسألة مسألة أسماء ، ولو أن المسألة مسألة أسماء فقط ومجرد اعتقادات ليس وراءها شيء لكنا نحن والمشركين متفقين في [الله]أليس كذلك؟ [الله] فنحن متفقون في أنه إله ، لكن لا يكفي هذا لأن الله هو ملكنا يأتي من قِبَله منهج محدد لهدايتنا .

رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) نحن متفقون عليه لكن ليست المسألة مسألة اتفاق على اسم أو على إعطاء مكانة لشخص هو رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) ، المسألة مسألة منهج له منهج وهداية ممتدة من عند الله سبحانه وتعالى مرتبط بنا، يتجه نحونا، إذاً فمن تحت النبي (صلوات الله عليه وعلى آله) ستتشعب الطرق ، أليس كذلك ؟ . ويتركز الكثير أمامك رجالاً ونساءً ، هناك تحصل إشكالية ، ألم تظهر قنوات كثيرة ، وكلٌ يدعي أنه يوصلك إلى محمد ثم إلى الله تعالى ، بواسطته يرشدك إلى هدي الله ورسوله، تأتي الإشكالية من هنا ؛ ولهذا جاءت الآيات الكريمة نفسها تتحدث عن هذا، لم تأت فقط لتقول {وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ} ثم تنتهي القضية ويقول {فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ} (المائدة: من الآية ٥٦) فعلاً من يتولّ الله سيكون هو الغالب لكن عن طريق من أتولّ الله ؟ . عن طريق من تكون ولايتي لله هي ولاية حقيقية تسير على هديه؟ . لأن المسألة ليست فقط مسألة أسماء . ممكن أن يهتدي الواحد حتى من حركة الناس، يعرف.

عندما تذهب إلى الأسواق سترى في السوق نفسه ما يمكن أن يفيدك في قضايا عمرها ألف وأربع مائة سنة ، لكن هل المسألة هي تعود إلى قضية التّنميق وإزالة التراب والتزيين وأن تكون بضاعتك في مكان مرتفع وبارز ؟ .

في مقام الدين، أعلام الدين هي قضية تأتي من قِبَل الله سبحانه وتعالى ، أنه يبدأ يصطفي من داخل ملائكته رسلاً {اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلاً} (الحج: من الآية ٧٥) ليقوم بالمهمة إلى من؟ . إلى البشر، يصطفي من البشر رسلاً {اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلاً وَمِنَ النَّاسِ} (الحج: من الآية ٧٥) إذاً فهو هو الذي يحدد لنا من هم الأعلام الذين نتولاهم ونسير على هديهم ونتمسك بهم ؛ لأن القضية دقيقة جداً ، ومحكومة جداً ، ومضغوطة جداً وهدي واحد ، تميل كذا أو كذا تقع في ضلال ، وليست القضية متروكة لك مثلما تدخل إلى السوق فتسمع هذا يُروِّج وهذا يُروِّج ، وهذا يتلطف لك ، وذلك نقص لك ريالين فتتجه إليه ، أو نَمَّق بضاعته وجعلها بادية أمامك أكثر فتتجه إليه ، المسألة تأتي من قبل الله سبحانه وتعالى إلى رسوله ، من قِبَل رسوله هو ليحدد للناس من هم الأعلام الذين يتمسكون بهديهم وسيضلون بحاجة إلى التمسك بهديهم وتوليهم وإن كان بينه وبينهم آلاف السنين ؛ لأنه أليس هدي الله للحياة كلها ؟ .

ذلك العَلَم الذي وضعه الله لك هو رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) أنت بحاجة إليه وإن كان بينك وبينه ثلاثة آلاف سنة ، العَلَم الذي وضعه للأمة من بعده..وهي بداية نقطة الإفتراق، بداية مفترق الطرق، الموقع المهم هناك ؛ لأنه متى ما بدأت من نقطة الإفتراق ومفترق الطرق تميل كذا فستبقى فلتتك إلى آخر الحياة وآخر عمر الدنيا ، من هناك، هناك مفترق الطرق ، هناك علي ، وعلي يمثل طريقاً يمثل هدياً، الميل عنه يميناً أو شمالاً يشكل خطورة بالغة هي نفسها التي تراها ماثلة آثارها أمام أعيننا في هذا العصر، وعندما تعود إلى كتب التاريخ ستراها ماثلة أمامك في كل عصر .

عندما تقول: [ما شأننا نحن {تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ } ونحن الآن مشغولون ، الغربيون صعدوا إلى القمر ونحن مشغولون بعلي وأبي بكر، نحن أمام خطورة بالغة، وأنت مشغول بأهل البيت وبعلي وفلان وفلان والآخر مشغول بأبي بكر وفلان وفلان] .نقول: لا، نحن مسلمون وأعداؤنا يواجهوننا كمسلمين وينطلقون في حربهم لنا من منطلق عداوتهم لنا لأن يضربوا إسلامنا قبل أن يضربونا شخصياً، فمتى ما ضُرب إسلامنا واستطاعوا أن يحرفونا

يميناً وشمالاً عنه ويبعدونا عنه سهل عليهم ليس فقط أن يضربونا، بل أن يستعبدونا ويستذلونا، فإذا كان هذا الدين، كان هذا الكتاب، كان ذلك الرسول هو للأمة كلها إلى آخر أيامها فما يزال هو وحده الهادي لها في كل مواقفها. القرآن الكريم يربط الأمة في كل مرحلة من مراحل حياتها أنها لا بد أن تتولّى علياً .

الله ورسوله، أليست هذه قضايا معروفة، مُسلّم بها ؟ . وطرف ثالث ، من هو ؟ . الذين آمنوا، ونحن قلنا بالأمس أن كلمة {الَّذِينَ آمَنُوا} لو أنها عامة كما يقولون لكانت القضية عائمة ، والله لا يُعمّي علينا ، الله سبحانه وتعالى رحيم بنا ، يهدينا إلى صراط مستقيم إلى طرق واضحة جداً ، كيف يُعَمّي علينا ويتركنا نختلف على ماذا يريد منا ، إنه يبين { كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ } (آل عمران: من الآية ١٠٢) لا يعمي علينا وهو يتحدث عن خطورة بالغة علينا ، ألم يتحدث عن خطورة بالغة قد ترتدوا قد تتحولوا إلى يهود ونصارى ، قد ترتدوا بعد إيمانكم كافرين ، فهو من يعلم السر في السماوات والأرض وهو الرحيم بنا لا يمكن أن يحدثنا عن قضية بالغة الخطورة جدا علينا ثم يعمي علينا ولا يبالي . لا . هذا ليس عمل الحكيم ، ليس عمل الرحيم الحكيم العليم ، هو يعمل على أن يبين آياته للناس لعلهم يهتدون، أليس هو الذي قال لنا { كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ } نقول إذاً بيِّنْ لنا هنا، وقد بين لنا هنا فعلاً {الَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ} (المائدة: من الآية ٥٥) .

قد يقول البعض : لماذا لم يقل في الآية [علي] حتى تكون واضحة كالشمس؟ .

قلنا هذا أسلوب القرآن الكريم متى ما تناول قضية ليس لها فقط اتجاه واحد في مقام الهداية، تهدي من هنا ومن هنا ومن هنا، كل آية وأنت تراها وكأنها تحدثت لك عن إشكالية معينة ، كم تلمس في داخلها هداية في جوانب أخرى ، القرآن الكريم يتجه ـ بالنسبة لله سبحانه وتعالى ، بالنسبة لرسوله ، بالنسبة لأوليائه ـ يتوجه إلى ترسيخ مبدأ الكمال ، الله سبحانه وتعالى بدءاً منه ملأ كتابه الكريم بالحديث الذي يرسخ في أذهاننا كماله هو ، هل قدم لنا اسمه في القرآن الكريم بأنه [الله] فقط ؟ [الله] الذي هو الإسم للذات المقدسة له سبحانه وتعالى ، قدم لنا نفسه كاملاً ويرسخ في أذهاننا كماله ،{هُوَ اللَّهُ الَّذِي لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ . هُوَ اللَّهُ الَّذِي لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ . هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ } (الحشر: ٢٢-٢٤) ما مسار هذه الآيات ؟ أليست كلها إبراز كمال الله سبحانه وتعالى ، وإظهار كماله وعظمته؟ لأنها نقطة مهمة، وقضية مهمة لها أثرها العظيم في مجال الهداية، فيما تخلقه في النفوس ، ولها أثرها العظيم في مقام الهداية فيما تخلقه من وعي وفهم ومقاييس ثابتة .

إن تقديم القرآن لله سبحانه وتعالى بالشكل الذي يرسخ كماله هو كان وسيلة مهمة في القضاء على الشرك ، ونسفه من أوساط العرب الذين كانت الأصنام تكاد تكون في كل قرية، وفي كل بيت من بيوتهم ، ترسيخ مبدأ كمال الله ، حتى أصبح العربي ينظر إلى ذلك الصنم الذي كان يمسحه آباؤه وأجداده ويقبّلونه ويسجدون أمامه وينذرون له بالنذور ويبخرونه بأغلى البخور أصبح محط سخرية وازدراء واحتقار قد يدوسه بقدمه أو يبول عليه ، من أين جاء هذا ؟.ألم يكن العرب هم يعرفون الله من قبل ؟ الله، الله يعرفونه لكن لم يكن يخطر في بالهم ربما أن الألوهية لا تكون إلا لمن هو كامل ، أن الأكمل هو الجدير بأن يُعبد ، أنه هو المستحق لأن يكون هو الإله . ألم يتحدث القرآن بالنسبة للأصنام ليحطها أمامهم باعتبارها ناقصة {أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا } (الأعراف: من الآية ١٩٥) وهكذا {أَفَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لا يَنْفَعُكُمْ شَيْئاً وَلا يَضُرُّكُمْ . أُفٍّ لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَفَلا تَعْقِلُونَ} (الأنبياء: ٦٦-٦٧).

على ذلك النحو حديث عن كمال الله سبحانه وتعالى، على هذا النحو الذي ورد في هذه الآيات: {هُوَ اللَّهُ الَّذِي لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ} إلى آخر [سورة الحشر] ، ترسيخ مبدأ الكمال في أذهاننا في قلوبنا كان هو الكفيل بنسف الشرك .

بالنسبة للأنبياء أنفسهم ، رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) ، وربما كانت هذه الأمة بالذات أحوج الأمم إلى ترسيخ مبدأ الكمال في ذهنيتها ونفوسها أكثر من أي أمة مضت ؛إذاً سيبدو هذا المبدأ مهم جداً جداً هو كفيل بأن يخلق لديها وعياً واستقامة وثباتاً على امتداد تاريخها وإلى يوم القيامة مهما طال الزمن .

تلاحظ ، ألم يُعرض الأنبياء بأسمائهم في القرآن الكريم؟ [موسى ، إبراهيم ، نوح ، عيسى] وهكذا إلا محمداً (صلوات الله عليه وعلى آله) فيُقدم في القرآن الكريم باسم [رسوله ، رسول الله ، رسول ، رسولنا]، أليست كلمة: [رسول] في حد ذاتها هي صفة عظيمة لمحمد (صلوات الله عليه وعلى آله) ؟ . كم جاءت كلمة: [محمد] في القرآن ؟ . في ثلاثة موارد {مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ} {وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ } (آل عمران: من الآية ١٤٤) { مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ } (الأحزاب: من الآية ٤٠) ولأن المقام يتطلب أن يذكر باسمه فيها وليس فقط على طريق أنه كان بالإمكان أن يقول [محمد] أو يقول: [رسول] بل لأن المقام نفسه يتطلب في واقع الهداية أن يذكر باسمه فيها ، ويأتي القرآن الكريم في الآيات الأخرى يقدم محمداً ليس باسمه ، لم يقدم محمداً باسمه في المقامات المهمة مثل {أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ} {مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ} {لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ} يأتي القرآن الكريم ينادي رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) بقوله: {يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ } {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ } .

وكلمة [رسول] وكلمة [نبي] أليست تُقدم باعتبارها صفة عظيمة لمحمد (صلوات الله عليه وعلى آله) ؟ . أليست تنبئ عن كمال عظيم هو له أنه رسول لله ؟ . لأن الله قد ذكر لنا هناك ما يبين لنا أن كون فلان رسول الله هو مقام عالي وعظيم جداً، {اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ} (الأنعام: من الآية ١٢٤) حتى لا نفهم بأنه فقط يخاطبه بمجرد كونه موظف وباسم وظيفة معينة مثل [يا مدير ، يا فندم] وأشياء من هذه ، وإنما خاطبه بشيء هو كمال له ، هو من كماله ، فيقول: رسولاً، أن يكون فلان رسولاً له هو مقام عالي جداً، جداً ومرتبة عظيمة جداً {اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ} {اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلاً وَمِنَ النَّاسِ} (الحج: من الآية ٧٥) إنه اصطفاء ، واصطفاء الله الذي يعلم بالكمال ، وبمحيط دائرة الكمال بكلها فسيكون اصطفاؤه على نحوٍ عالٍ جداً .

أن يكون رسولاً له أن يكون نبياً له أليس هذا يدل على كماله ؟ . عندما تأتي إلى القرآن الكريم كم يقول: {يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ} حتى وهو يخاطب محمداً نفسه يقول {يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ} ولم يقل [يا محمد، يا محمد] على أساس أننا قد عرفنا أن محمداً هو رسول، بل يجب في خطابنا نحن أن لا نكثر من كلمة [محمد] إلا ونرفقها بكلمة [رسول الله] إلا في مقامات تقتضي ذلك ، بل نستخدم كلمة (الرسول) وكلمة [النبي] لندور في الإطار الذي يركز القرآن عليه ويجعله مهماً جداً .

وكلمة [يا أيها الرسول ، رسولي ، رسولنا] هل هي فقط مجرد عبارة يرددها أم أنه يريد من ورائها أن يترسخ في ذهنيتنا كمال هذا الشخص باعتباره رسول ونبي ؟ . إنه يريد ذلك ، وقد رسخها وكررها حتى غاب اسمه تحت تكرير كلمة [رسول ونبي] ، استعرض في القرآن الكريم كم عُرضت هذه الكلمة [رسول] وكلمة [نبي] أما كلمة محمد ، لم تأتِ كلمة [محمد] إلا في ثلاثة أو أربعة أماكن فقط .

وقد تجد في نفس السورة التي ذكرته باسم الخطاب له بأنه نبي ورسول أكثر بكثير من التي وردت باسمه فقط التي هي في [سورة الأحزاب] ، وفي [سورة الفتح] ، وفي [سورة محمد] ، في داخل السورة نفسها يخاطبه كثيراً كثيراً باسم [نبي ورسول] ، متى ما جاءت كلمة [محمد] في مقام معين لأن المقام يستدعيها فهي واحدة في مقابل عدد كبير من إطلاق كلمة رسول ونبي .

نعم ، كلمة رسول وكلمة نبي، أليست تقدم محمداً (صلوات الله عليه وعلى آله) بغير اسمه ؟ . ولأن كلمة رسول وكلمة نبي يعني ترسيخاً له في ذهنيتنا بكماله، حتى نفهم أن ارتباطنا به هو باعتباره رجلاً اصطفاه الله وأكمله واختاره فجعله رسولاً له .

في الجانب العاطفي نفسه عندما تردد كلمة محمد ، محمد ، محمد هل تستطيع أن تخلق في نفسك ما يشدك نحوه أو عندما أتحدثت عنه بصفات كماله رسول الله ، هو رسول من عند الله ، هو كذا ، هو كذا ألست سأغيب

اسمه وأنا أتحدث عن كماله؟ هو نبي الله ، هو رسول الله، لكن عندما أقول محمد ، كان محمد ، هو محمد هل هذا سيعطيك شيئاً في ترسيخ عظمته في نفسك ، وفي ترسيخ مبدأ الكمال، هذا المبدأ المهم؟ .

حتى عندما يذكر الله سبحانه وتعالى بأنه مَنّ على المؤمنين بهذا النبي العظيم الذي نعلم أنه محمد (صلوات الله عليه وعلى آله) ألم يقدمه بأنه رسول {لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ} (التوبة: من الآية ١٢٨) {لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِنْ أَنْفُسِهِمْ} (آل عمران: من الآية ١٦٤)، وعندما يتحدث معه هو يتحدث عن صفات أخرى ، تأتي كلمة رسول في مقدمة الصفات المهمة له التي تدفعنا إلى أن نعتبره عظيماً وننشد إليه {لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ} وكلمة رسول هنا في إطلاقها على هذا النحو من [الإفراد والتنكير] يفيد التعظيم {لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ} (التوبة: ١٢٨) أين اسم [محمد] هنا ؟ . لو نقرأها من جديد فنقول (لقد جاءكم محمد من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم)،لاحظ أليست ستهبط كثيراً في التعبير عن عظمة النبي (صلوات الله عليه وعلى آله) ؟ . بينما (محمد) هو الاسم الذي سمته به أمه ، أو سماه جده عبد المطلب ، هو اسمه كاسم أي واحد منا يكون له اسم يختص به ، اسم عَلَم ، لكن ارجع إلى الآية {لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ} أليس كلمة رسول تعطي شعوراً بكماله ؟ .

إذاً أريد أن أرتبط بمبدأ كمال فأنظر إلى هذا من خلال كماله ، أعظمه لكماله ، أجله لكماله أحبه فيترسخ في ذهنيتي رجلاً كاملاً ، كاملاً، محمد (صلوات الله عليه وعلى آله) يترسخ في ذهنيتي أنه رسول الله ، أنه نبي الله ، أنه هادي للأمة {إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً} (الفتح: ٨) وهكذا .

لاحظوا كيف عندما جاء من يتعامل مع رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) كمحمد ، ومع كلمة:[رسول] أنه رسول من طرف القرية يأخذ مكتوباً ويسيره للآخرين ومع السلامة ثم مات ، الوهابيون عندما انطلقوا هذا المنطلق فعملوا على أن لا تُخلق لرسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) عظمة في النفوس كيف تَجَنَّوْا عليه، وكيف أصبحوا هم في أنفسهم أجلافاً غلاظاً قساة ، ترى [المطوع] الذي هو عادة رجل الدين الذي يجب أن تبرز على ملامحه سيماء الدين والتقوى والخلق الحسن واللطف واللين والبشاشة لأنه يجب أن يتحلى بأخلاق يقتبسها من الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله) الذي قال الله عنه { وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ } (القلم: ٤)، لكن تجدهم هناك جفاة غلاظ قساة ، مَن منكم رأى مطوُعاً ينشد إليه قلبه ويرتاح له؟ . بل عندما تراه ترى ظلمة، ترى جفوة ، ترى قسوة ، ترى غلظة ، ترى جفاء . أحيانا أرى فعلاً مطوعاً وأرى شخصاً آخر بدون ذقن ويبدو لي هذا إنساناً دَمْثاً لطيفاً عليه سيماء هدوء ورزانة ولين، ترى أنك قريباً له وأنه طبيعي بالنسبة لك، وذلك المطوع تراه مظلماً في شكله ، في كلامه ، في حركاته .

تراهم عند قبة رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) يحاولون أن لا يظهر في أوساط الزائرين له (صلوات الله عليه وعلى آله) ما يكشف عن تعظيمهم له، أصبح التعظيم في نظرهم شركاً، التعظيم الذي هو الغاية التي تراد من خلال ترسيخ مبدأ كمال هذا الرجل (صلوات الله عليه وعلى آله) أن نجِلّه أن نحترمه ، أن نعظمه، أن نقدره ، أن نذوب في ولاءنا له ، يركلون الناس بأقدامهم ، متى وقف شخص يريد أن يمسح ويقبل حجراً متصلة بتربة لها علاقة على بعد أمتار بجسد الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله) ، أليس هذا يعني أنه يحبه ومنشد إليه ؟. هؤلاء بجفوتهم بغلظتهم بوحشيتهم عند قبره يركلون الناس بأقدامهم ؛ لأنهم تربوا على ماذا؟ على مسح الشعور بأنه عظيم .

من هذا نعرف ، أهمية ترسيخ مبدأ الكمال، بدءً من الله سبحانه وتعالى كيف قدم نفسه لنا وارجعوا أنتم إلى الآيات التي تذكر صفات الله وملكه وكل الأسماء التي تدل على كماله المطلق سبحانه وتعالى ، ثم كيف بالنسبة لرسوله (صلوات الله عليه وعلى آله) ، تجد أن المسألة هي مسألة ترسيخ كمال لما لترسيخ هذا المبدأ من أثر مهم في نفس كل إنسان وفي الأمة بكلها .

نأتي إلى علي (عليه السلام) ونأتي إلى هذه الآية نفسها هل قال:ومن يتول الله ومحمد وعلي؟. قال {وَرَسُولَهُ} ألم يقدم محمداً بصفته رسولاً قدم علياً بنفس الأسلوب قدمه باسم الإيمان ويتحدث عن صفتين مهمتين فيه

هي تمثل العلاقة بالله سبحانه وتعالى في أسمى درجاتها ما هي عليه وتمثل العلاقة بالناس في الجانب الآخر، وهذا ما تلمسه كثيرا عندما ترى بعض صفات المتقين تُعرض في مقام ولا تذكر في مقام آخر وفي مقام تذكر تلك الصفات ولا تذكر صفات أخرى ، وهكذا ؟ . ، لأنه يذكر بما له أهمية متعلقة بالموضوع في الأمر الذي السياق حوله، وهنا تبدو أهمية ـ وانسجاماً مع هذا المبدأ الإلهي المهم ـ ترسيخ مبدأ الكمال ، مبدأ التكامل ؛ فلم يذكر علياً باسمه كما لم يذكر محمداً (صلوات الله عليه وعلى آله) باسمه في نفس الآية بل يذكره بصفته التي هي صفة كمال {وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاَةَ} لاحظوا كيف كرر صفات كمال ؛ ليقدمه إلينا عظيماً ، لو أتى بكلمة (علي) مكررة لما أفادتنا أكثر من اسم [علي].

{وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ } (المائدة: من الآية ٥٥) ولنأت إلى الصفة الأولى التي تمثل علاقة الإمام علي بالله وهي {الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاَةَ} أليست خير الأعمال ؟. الصلاة فيما تعطيه من آثارها المهمة في العلاقة بالله سبحانه وتعالى وفي ميدان العمل في الحياة بكلها ، تعتبر فعلا خير الأعمال لأثرها الكبير ، أثرها المهم فيما تحتويه من دلالات مهمة ، فيما تعطيه من إشارات مهمة ، فيما تترك من آثار مهمة ، ألسنا ننادي للصلاة بـ[حي على الفلاح ، حي على خير العمل] هل هناك عبادة أخرى ينادى لها بهذا النداء عدا الصلاة ؟. حي على الفلاح ، حي على خير العمل، والصلاة متى ما أُدِّيَتْ قَيِّمَةً ذات قيمة {يُقِيمُونَ الصَّلاَةَ} ليست ركوعاً وسجوداً أجوفاً بل ركوعاً وسجوداً باتجاهٍ إلى الله ، بإقبالٍ ، بخشوع ، بفهم لمعاني الصلاة لآثار الصلاة لأهمية الصلاة التي نحن ننادي بأنها خير الأعمال ، ووصفها الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله) في حديث صحيح عنه ((خير أعمالكم الصلاة)) . أليس المصلون كثيرين ؟ . لكن ما أقل من يقيمون الصلاة .

كيف نعرف بأننا لا نقيم الصلاة؟ . أننا نصلي والكثيرون يصلون ولو التفت التفاتة خفيفة إلى ما تعنيه تلك الأذكار في الصلاة وتلك السور التي يجب قراءتها في الصلاة ، وذلك القيام ، وذلك الركوع ، وذلك الاصطفاف صفاً واحداً ، خلف إمام واحد ، وفي مكان واحد ، واتجاه واحد ، لو حصلت التفاتة خفيفة منا ـ ونحن نصلي كل يوم خمس مرات ـ لتركت أثرها الكبير في نفوسنا، ولكانت مفتاحاً لكثير من أبواب الهداية أمام قلوبنا .

{وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ} الزكاة : تعني هنا الصدقة. الزكاة في القرآن الكريم تُستعمل بمعنى الصدقة النافلة . وتستعمل الصدقة أيضاً بمعنى الزكاة التي أصبحت عَلَماً على النسبة المحددة من المال المفروضة المرتبطة بعين المال، وإلا فكلها تسمى زكاة باعتبار أن الصدقة من حيث هي زكاة للنفوس وزكاة للمال.

{وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ} أدى الزكاة أي تصدق بماله أثناء ركوعه، وتقدمه بما هو أهم من أن يذكر باسمه في مقام ترسيخ النظرة إليه كإنسان كامل نرتبط به ، وهذا هو الذي افتقده السنية عندما لم يرتبطوا بعلي عليه السلام لماذا ؟ . لأنهم اعتبروا أن الآخر هو أكمل منه، ألم يقولوا بأن أبا بكر أفضل من علي؟ . فهم ارتبطوا بأبي بكر بعد أن جعلوه الأفضل، لما لم ينظروا إلى علي عليه السلام ويلحظوا كماله ويؤمنوا بكماله لم يفدهم اسم [علي] ، هل أفادهم اسم علي، لما فقدوا الارتباط بعلي عليه السلام باعتبار كماله فقدوا ما كان سيعطيهم الارتباط بكماله فلم يعد اسمه ينفعهم ، بل جعلوه رابعهم قدموا عليه أبا بكر ، قدموا عليه عمر ، قدموا عليه عثمان ؛ لأنه أصبح في نظرهم [علي] الرجل العادي المجرد عن الكمال فكان كذلك في نفوسهم، نزلوه أول مرة والثانية والثالثة، وربما لولا أن الآخرين حالوا دون أن ينزل مرة رابعة لفعلوا حتى تصل إليه الخلافة في أي درجة وبأي طريقة .

أليس اسم علي معروف لدينا ولديهم ؟ . ما الفارق بيننا وبينهم ؟ . هو أننا نظرنا إلى علي عليه السلام كرجل كامل ، هو أفضل الناس بعد رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) ، هو أكمل الناس بعد رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) ، هو من رباه القرآن ومحمد (صلوات الله عليه وعلى آله) وكان جديراً بتلقي تلك التربية المهمة، نحن ننظر إليه كإنسان كامل هذا هو الفارق، أم أننا فقط الذي عرفنا اسم [علي] والآخرون لم يعرفوا اسم [علي] ؟ . هم يعرفون اسم [علي] أليسوا يقولون هكذا : أبو بكر وعمر وعثمان وعلي ؟ . لكن ما الذي جعلنا نختلف عنهم وفرق بيننا وبينهم ؟ . هو أنهم لم ينظروا إلى علي عليه السلام كرجل كامل ، كشخص كامل

اختاره الله ليكون علماً للأمة بعد نبيه ، فمن هنا فعلاً يظهر لنا أثر النظرة لهذا الشخص الذي ترتبط به باعتبار كماله ، أما إذا لم تعتبره كاملاً فسيصبح لديك مجرد اسم على جسد كما يقال حبر على ورق .

كنت أتصفح كتاب لمحمد حسين فضل الله فاستفدت منه فائدة مهمة في هذا الموضوع قال فيها : أن يتصدّق علي عليه السلام بخاتمه وهو يصلي تدلنا نحن على جدارته العظيمة بأن يقود الأمة ؛ لأنه هو من يهتم بها ، من يؤلمه فقير واحد منها فينصرف وهو في مقام التوجه نحو الله سبحانه وتعالى ، ولم يقل ليس وقت السائل ، لا ينصرف بعيداً عن ذلك الفقير بل تهمه قضيته ويعالج مشكلته كفقير يسأل فيتصدق بخاتمه وهو يصلي ، هذا هو من يهمه أمر الأمة ، هذا من هو حريص على الأمة ورحيم بها وشفيق بها، هذا هو الجدير بأن يتزعم الأمة ويقودها .

ما أكثر من يقولون في مثل هذا الموقف: [ليس وقتك أيها الفقير الآن نحن في عباده، والعبادة أفضل العبادة أحسن] . علي (عليه السلام) أليس ممن يقيم الصلاة وهويصلي؟ ، لكن وهو يصلي يفهم أن الدين أعمال متكاملة وتوجه نحو الله سبحانه وتعالى له علاقته المهمة في نظرتي الحسنة واهتمامي بالآخرين، ومن أبرز من يهمني أمرهم الضعفاء والمساكين وفقراء الأمة، فهو هنا لم يقل: [أنا في عبادة هي من خير الأعمال، اذهب أيها الفقير ، ليس وقتك] . بل يهمه أمره ، ويقلقه وهو داخل صلاته، ويلحظ أن أحداً لم يعطه شيئاً فيؤشر له بخاتمه وهو أثناء ركوعه فيأتي الفقير هذا ويأخذ الخاتم من يده .

لاحظوا كيف قدم لنا القرآن أعماق الإمام علي، ألم يقدم لنا أعماق نفسية الإمام علي عليه السلام بأنه الشخص الذي يهمه أمر كل شخص في هذه الأمة فكان هذا من أبرز كماله أن يقدم لنا علي عليه السلام باعتباره كاملاً ، وهذا هو الشيء الذي يسير عليها الناس وسنة يسير عليها الناس حتى في أعمالهم الخاصة، أنت عندما تريد عاملاً فأقول لك : فلان . ألست يطلع في رأسك صفات كمال أو عدمها ، له خبرة هو جدير بالعمل أم لا ؟ . أليس هذا هو الذي سيحصل ؟ . عندما يقال : جاء محافظ جديد . هل سيهمني اسمه أم يهمني أن أتسائل عن كماله ؟ . فأقول : أرجو أن يكون رجلاً جيداً ، وأن يكون مهتماً بأمر الناس ويعطينا كذا . أليس هكذا يحصل ؟ .

كذلك عندما يقال أنه قد جاء مدير ناحية جديد ، نفس الشيء هل يهمك اسمه أم يهمك أن تعرف الكمال الذي هو عليه وما لديه من مقومات تجعله أهلاً لأن يَلِيَ أمرنا ويدير منطقتنا ، أليس هذا هو الذي يحصل ؟ .

عندما يأتي حاكم محكمة جديد نفس الشيء . عندما تكون في مشاجرة وتحاكمتم إلى القاضي فيقال لك: فلان وكّلَه في قضيتك . ما الذي ستتذكر ؟ . هل أنه جدير بهذه المهمة ولديه خبرة ولديه معرفة و . . و . . الخ ، أليس هذا الذي يحصل ؟ . وكذلك عندما يذكر لك عامل يعمل في أموالك ماذا تتذكر ؟ . هل يهمك اسمه أم يهمك أنه ناصح ويعمل بجد ، ولديه خبرة في العمل ؟ . أم أنه يهمك اسمه فقط ؟ . هذه سنة من سنن الحياة إذا فهمناها نحن نعملها ، ونحن ننظر إلى الكمال في كل شخص حتى وأنت تبحث لك عن زوجة ، هل يهمك اسم الزوجة فتقول أريد أن يكون اسمها (مريم) لا (صفية) ، بل يهمك أن تعرف صفاتها فتقول : أرجو أن تكون ممتازة ، أن تكون طبيعتها جيدة ، لا أريد أن تكون كذا . أليس الإنسان يبحث عن صفات كمال ؟ . هكذا يرسخ الله هذا المبدأ الذي هو مبدأ مهم .

فعندما يربطنا بالإمام علي عليه السلام فهو يربطنا بعلي عليه السلام من باب تقديم علي كرجل كامل جدير بأن نرتبط به ، وهو من يصلح أن نتولاه هو ــ إذا كنا ناصحين لأنفسنا ــ الجدير بأن نتولاه ، وأن يكون هو باب مدينة علم الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله) ، وهو الباب الذي ندخل منه إلى رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) .

ومع هذا يأتي من يقول : لماذا لم تذكر الآية اسم [علي] حتى يكون النص صريحاً ؟ . هذه هي من سلبيات [أصول الفقه] التي دائماً نصيح منها ، من سلبيات أصول الفقه الرهيبة، التي تصرفك عن النظر إلى الأشياء من منظار الهداية . فتقول : [أريد أن يقول لي فلان حتى يكون نصاً صريحاً يلزمني] . يا أخي القرآن كتاب هداية، الدين كله هداية، أعماله كلها هداية حتى عندما ينصب لك محمداً (صلوات الله عليه وعلى آله) رسولاً

هو هداية ، والقرآن هداية ، وعلي هداية ، وكل شيء في هذا الكون هو يخاطبك بمنطق الهداية ، ولكنهم يريدون نصاً صريحاً فيقول (علياً) .
أن يرتبط الناس فقط بمجرد اسم تأتي إشكاليات أخرى فينسوا الكمال ، هو ما ضربنا وضرب أهل السنة،وضربنا الآن كلنا ، أننا لم نعد نلحظ ضرورة أن يكون من يَلي أمرنا رجلاً كاملاً .
وعندما ننظر إلى كماله ننظر بالمعيار الديني بالمعيار الإلهي {وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ} أليس هذا هو تقديم لهم بمقامات دينية وصفات دينية ؟ . [تصدق] كلمة دينية، لماذا لم يقل (والذين آمنوا الذي سيقدم لك مشاريع ويعمل لك مشاريع ويعمل لك إزفلت ويعلم لك كهرباء) هل قال هكذا ؟ . من تتوفر فيه الصفات الدينية باعتبار الدين هو هدى للناس ، من يهمه أمر فقير هو من سيهمه أمر الأمة كلها فيعمل على أن يوفر لها ويؤثرها على نفسه في جميع شئون حياتها، على يد مثل هذا يتحقق بناء الأمة، تأتي المشاريع ، تأتي الخدمات على أرقى ما تكون عليه، والواقع يشهد بهذا. الإمام الخميني عندما جاء ــ وهو رجل من هذا النوع [يقيم الصلاة] ، رجل كماله كمالاً دينياً ، كمالاً على وفق هدى الله سبحانه وتعالى ــ ما الذي حصل في إيران ؟ . كان في أيام ملك إيران الذي يسمى (شاه إيران) الذي حكم إيران فترة طويلة ، وفي أثناء فترة حكمه ــ وكانت إيران تنتج نحو خمسة ملايين برميل في اليوم الواحد ــ كانت ما تزال أحياء كثيرة في العاصمة [طهران] ما تزال بغير ماء ولا كهرباء ولا نظافة ولا أي خدمات أخرى .
الخطوط في إيران لم تكن أكثر من أربعة عشر ألف كيلو ، بعد الثورة الإسلامية ماذا حصل؟ . وتحت قيادة هذا الرجل الديني ــ الذي يفهم الدين أيضاً وليس رجل دين ممن يفهم الدين فهماً قاصراً بعيداً عن الحياة ــ ما الذي عمل في خلال سنوات محدودة؟ . أربعين ألف كيلو متر من الخطوط في فترة قصيرة، مقابل أربعة عشر ألف كيلو في زمن الشاه، وهكذا في بقية الشئون يبني مستشفيات، يبني جسوراً، يبني سدوداً، يبني مصانع، يبني المدارس، المزارع، الكهرباء، التلفون .
ونحن نزور في إيران متجهين إلى منطقة في شمال إيران اسمها (آمُل) ومعنا أشخاص إيرانيين ونحن نرى الكهرباء وكل الخدمات أمامك للقرى، ـ ألسنا هنا نطالب لمنطقة بأكملها ويعطونا مشروعاً واحداً فقط بعد ست سنين أو سبع سنين من المتابعة ـ هناك هم ينزلون بأنفسهم إلى القرى ليوفروا لكل قرية الخدمات التي تحتاجها: صحة وكهرباء ومياه ومدارس وطرق كلها متوفرة ، واهتمام بالمزارعين، قلنا لماذا؟ .
قالوا: نريد أن يتوفر لأهل الأرياف كما يتوفر لأهل المدن فيظلوا في بيوتهم متوفر لهم كل أسباب الحياة ، فيهتمون بالزراعة ويهتمون بكل شيء ويعيشون كما يعيش الآخرون ؛ ولأننا بهذا العمل نواجه خطة خبيثة لليهود فهم يحاولون فقط أن تنهض المدن من أجل أن يتجه الناس إليها ويتركوا الأرياف ــ وهذا هو ما يحصل بالنسبة لنا ، قارن بين صنعاء قبل عشر سنوات وصنعاء الآن ترى أحياء كثيرة تُبنى بطريقة عشوائية ، والسكان من مناطق متفرقة هذا من [أرحب] وهذا من [ريمة] وهذا من [صعدة] وهذا من [تعز] وهذا من [حجة] مهاجرين من الأرياف إليها ــ قالوا: أن هذه خطة مقصودة من خطط اليهود الغربيين من أجل أن يزدحم الناس في المدن، وازدحام الناس في المدن سيعطل الأرياف، وهي المساحات الكبرى في الشعوب فتتعطل الزراعة ويتعطل كل شيء .
ثم عندما يتجهون إلى المدن بحثاً عن الكهرباء والتلفون وقرب المستشفى ، أليس هكذا تحصل على الخدمات ؟ .
ما الذي يحصل في المدن ؟ . في المدن يتجمع الناس بأعداد كبيرة ولا يكون بينهم أي علاقات ولا روابط ، بيت عند بيت ولا أحد يلتفت إلى أحد ، ولا أحد يسأل عن أحد ، بل في داخل البيت الواحد شقة فيها أناس وشقة هنا فيها أناس لا يتعارفون في الغالب، ولا يدري هذا من أين هذا، ولا لهذا علاقة بهذا ، فيتجمع الناس تجمعات تتفكك بينهم كل العلاقات الأخوية والإسلامية، ثم يبدأ الفساد ينتشر داخل المدن فيأتي على هذه الأعداد الهائلة التي تتوافد من أماكن مختلفة بدون تنظيم وبدون رعاية وبدون اهتمام فيظهر الفساد الكبير داخل المدن ، فساد في الحياة العامة ، فساد في الأخلاق ، فساد في كل شيء يعيش هناك يبحث عن كيف يدخل الأموال ،

لأن المدينة تتطلب حياة أخرى فهو يريد مالاً كثيراً، يبحث له عن وظيفة بأي طريقة ، ومتى ما توظف أصبح مختلساً لأنه يريد أموالاً كثيرة، أليس هو هنا يضحي بأخلاقه، ويضحي بدينه من أجل محاولة إشباع متطلبات الحياة في المدينة ؟ . لكن يوم كان في الريف كانت له مزرعة، وعنده كثير من الخضراوات التي يزرعها ، ومعه بقر ومعه دجاج ومعه أغنام وأشياء أخرى تتوفر له فيبقى محافظاً على نزاهته، وعلى دينه، وعلى أمانته، وعلى قيمه. ولكن في المدينة يفقد هذه كلها ويصبح همه المال ، والمدينة كما يقولون (صنعاء شمسها بفلوس) .
إذا وُفرت الخدمات في الأرياف تفادينا كل هذا . ولكن في شعوبنا هذه لم توفر الخدمات حتى في المدن دع عنك الأرياف .
هناك في إيران أبدوا اهتماماً كبيراً ورعاية كبيرة للناس في كل منطقة ؛ لأنه من يحمل هذه الروحية فيهمه أمر فقير وهو أثناء الصلاة ، سيهتم بالأمة جميعاً وسيكون حريصاً عليها ، يهتم بفقير أثناء الصلاة ، وهي خير الأعمال ولم يقل : [أنا مشغول بتسبيح الله داخل الصلاة ، والصلاة أثوب] . لا، وهذا الفقير لا بد أن تهتم به أيضاً لأن الصلاة هي من أجل هذا الفقير وأمثاله من المستضعفين من عباد الله . فمن يهمه فقير ، من يهمه مستضعف، من يهمه أمر المواطنين وأبناء أمته ودينه ماذا سيعمل سواء كان فقيراً في المدينة أو في الريف أو في أي منطقة؟ . سيوفر له خدمات وعلى يديه سيوفر له الخدمات في أي منطقة كان .
الإمام الخميني الذي كان لا يملك سواء رداءه [الدجلة] الذي كانت ممتلكاته قليلة قدم للفقراء ما جعلهم يعيشون عيشة أرفه من حياته فعلاً . اقرؤوا كتاب (مدافع آيات الله) لكاتب مصري (محمد حسنين هيكل) وهو يتحدث عن بيت الإمام الخميني الذي دخله، يتحدث عن مطبخه وعن ثلاجته وعن أكله وعن ممتلكاته كانت عادية بالنسبة له لكنه قدم خدمات للآخرين بشكل رهيب ؛ لأنه كروحية الإمام علي (صلوات الله عليه) الذي كان يأكل ما يتسهل له ، ويهمه أمر الفقراء ، وأوصى ولاة أمور المسلمين أن عليهم أن يقيسوا أنفسهم بفقراء الناس، أن تعيش كما يعيش فقراء الناس، تحاول أن ترفع الفقراء إلى مستواك أو تعيش بعيشتهم، لا تَلِي أمرهم ثم تعيش في ترف ، في قصور فخمة ، وممتلكات فخمة والناس الفقراء المساكين هناك يعانون من شظف الحياة وصعوبة الحياة لا يتوفر لهم جزء مما يتوفر لك، قال: (حتى لا يَتَبَيَّغَ بالفقير فقره) الفقير يتألم عندما يرى الكبير ولي أمره، عندما يرى مسئولاً، عندما يرى رئيساً فيرى أين حياته ويرى أين هو، أرى أولاده في العيد وأرى أولادي في العيد، أرى زوجتي وهي تتجه إلى أسواق البالة تشتري ملابس لأولادي في العيد وهو يرسل بنته أو زوجته أو خادم خادم زوجته إلى أرفع وأرقى معارض عرض الأزياء ليشتري الفساتين الفخمة والأحذية الفخمة . هكذا حاصروا الناس ، أسواق [البالة] منتشرة في صنعاء وفي كل مكان ، أصبحنا شعب نتلقى البالة في كل شيء ، سيارات تأتي من كوريا بالة إطارات السيارات بالة أحذية بالة ملابس بالة كل شيء أصبح بالة، وهناك معارض للأزياء الفخمة ، وهناك معارض للسيارات الفخمة . إلى أين تتجه هذه ؟ . وإلى أين تتجه تلك ؟ . انظر إلى الأسواق ، أدخل تلك المعارض الفخمة ، ثم ادخل معارض البالة تعرف من يرتادها ، هنا يحس الفقير بوطأة الفقر ، يحس بالألم ، وذلك لا يبالي، ولا يهتم، ولا يفكر، ينسى أن في الدنيا أناساً .
الإمام الخميني الذي كان لا يمتلك إلا ممتلكات قليلة جداً كوّن جيشاً بأكمله سماه جيش [جهاد البناء] هناك جيش مجاهدين يحملون البنادق والبوازيك وفي الدبابات وفي الطائرات وكوّن جيشاً يحمل المطارق والفِرَس والكُرَيكات ومفاتيح الهندسة ويقود الحراثات ويقود مختلف الآلات الثقيلة لعمل الجسور ، وعمل السدود، وبناء المصانع ، وبناء المدن ، جيشاً بأكمله سماه جيش [جهاد البناء].
هنا نقول حققنا قفزة كبيرة أصبح يقال : (مجالس محلية) ، وسيوكل لهذا المجلس المحلي أن يوكل بخدمات ويهتم بحاجات المنطقة ، ثم نرى كيف واقعنا مجلس محلي لا يمتلك ما يُؤثّث به مكاتبه ، ثم يقال للناس : نحن قد جعلنا صلاحية مطلقة للمجالس المحلية ، وأوكلنا إليها الاهتمام بخدمات الناس وحل مشاكلهم و . . و . . الخ . مهام جميلة لكن ما الذي أعطيتم المجالس المحلية حتى تكون قادرة على أن تنهض بهذه المسئولية ؟ . أين هي المقاييس الإلهية التي وضعتموها في الأشخاص الذين لا بد أن يكونوا هم من يصلون إلى المجالس المحلية حتى يكونوا جديرين بتوفير الخدمات للناس ؟ . لا شيء من هذا .

لنعرف كيف أن الله سبحانه وتعالى عرض الصفات المهمة التي على يدي أصحابها تسعد الأمة ، على يدي أصحابها تسعد الأمة، على يدي أصحابها تزكو النفوس وتزكو الحياة بأكملها .
وكما قلنا في هذا العصر تقريباً لا تتحدث عن شيء إلا وتجد الشواهد عليه في مختلف المجالات شواهد نعرفها جميعاً. عندما يأتي المرشحون سواء لرئاسة الجمهورية أو لعضوية مجلس النواب أو للمجالس المحلية أليس المرشحون كلٌ منهم يحاول أن يخاطبنا بأنه سيفعل ، وسيعمل لكم كذا ونفعل لكم كذا مدارس ومستشفيات وخطوط وأشياء من هذه؟ . أليسوا كلهم يتحدثون بهذا المنطق ؟ ، هذه نفسها هي مطالب الحياة لكن نحن نريد على يد من ستتحقق مثل هذه المطالب بصدق؟ . على من يد تتحقق؟ . على يد من يهمه أمرنا، ونحن مسلمون فمن الذي يهمه أمرنا ؟ . هو من يمتلك مقومات إلهية مثل تلك، من يمتلك مبادئ مترسخة في أعماق روحه وفي أعماق نفسيته فتجعله مهتماً بأمر المسلمين ، مهتماً بضعفاء المسلمين مهتماً بالأمة بأكملها .
ولكنا نُخدع لأنهم يخاطبوننا كما يخاطب الصياد السمك ، ما الذي يعمل الصياد للسمكة ؟ . يقدم لها قطعة طعام ويرسل الشبكة إلى هناك فتلتف حول السمك ، ألم يقل للسمك : أنا أعطيكم طعاماً ، أنا أعطيكم لحماً أفضل من أن تبحث عن عشب من أعشاب البحر لتأكله؟ نحن سنعطيك لحمة هي هذه ، فتلتف السمك حوله فمن وقع في شراكه يأكله هو ، هذا الذي يحصل ، تقع في شراك هؤلاء فيأكلوك ، ولكن بأساليب متعددة .
ما الدليل على أنه يأكلني؟ . أنه عندما يطلع أراه بعد فترة لديه سيارات فخمة، وقصور فخمة، وممتلكات كثيرة وكان جندياً مسكيناً ثم يتحول إلى تاجر صاحب رأس مال كبير فعرفت أنه هو قد أصبح كذلك الصياد الذي قد سَمُنَ وأصبح جسمه كبيراً من خلال ماذا ؟ . من خلال أكله لتلك الأسماك التي تتجه نحو الشراك التي فيها قطعة لحم من عجل تبدو للسمك جميلة ولذيذة لأنها لا تعرف مثلها في البحر، وهذه قضية مأساوية أن الناس يُخدعون بمثل هذه الأشياء .
الإمام الخميني جاء بكلمة مهمة قال: (يجب علينا أن تكون معاييرنا إلهية) هي هذه المعايير الإلهية التي قُدِّمَت هنا في هذه الآية {وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ} شخص يهمه أمركم ، حتى أمر الواحد منكم وإن كان داخل أهم عبادة من العبادات لا ينشغل عنكم ، لأن ما يُقدم لنا في الانتخابات وفي تنميق الآخرين لأنفسهم لدينا ما هي؟ . هي معايير ليست إلهية معايير مادية، هي ليست أكثر من تقديم قطعة لحم لسمك لتُؤكل هي بنفسها ، ثم نرى في الأخير أنه لم يحقق حتى ولا وعد واحد من الوعود التي وعد بها يقول : إن شاء الله في عام ١٩٨٦ م ستكون صعدة كلها شبكة واحدة من الكهرباء كما قال علي عبد الله صالح عندما زار صعدة ، ثم جاءت سنة ٨٧ و ٨٩ و٩٠ و٩١ ولم يحدث شيء، ونحن مكثنا نراجع سبع سنوات في كهرباء لمنطقة واحدة .
يجب علينا أن تكون معاييرنا إلهية ، هذه في حد ذاتها تستدعي لها وقتاً طويلاً لنتفهم جميعاً كيف يجب علينا أن تكون معاييرنا إلهية في مختلف الأشياء حتى لا نخدع ؛ لأن فرعون إنما خدع قومه في مواجهة نبي الله موسى عليه السلام بمعايير مادية {أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِي أَفَلا تُبْصِرُونَ . أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلا يَكَادُ يُبِينُ . فَلَوْلا أُلْقِيَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِنْ ذَهَبٍ أَوْ جَاءَ مَعَهُ الْمَلائِكَةُ مُقْتَرِنِينَ } ، أليست هذه كلها مظاهر مادية أن يكون له حاشية وخدم ومناصب؟ . يقول فرعون: ليس موكب مثلما معي ولا ملك ولا شيء . يصور لقومه أنه لا بد أن يكون له موكب من الملائكة وأساور من ذهب وأشياء من هذه، هكذا يُخدع الناس دائماً بالمعايير المادية ، التي هي في حد ذاتها لا تُعطى إلا القليل منها على أيدي من يخدعون الناس بها أو ينمقون أنفسهم أمامنا بالحديث عنها .
متى ما صارت المعايير التي نتعامل من خلالها مع الآخرين بها معايير إلهية سيتحقق الكثير من الرخاء على يد من لديهم مبادئ إلهية مترسخة في أعماق نفوسهم ، تجعل نفوسهم محطاً لأن يهتموا بالآخرين وإن لم يكن يعرفون الآخرين ولا يعرف الآخرون أسماءهم ولا أشكالهم . لاحظوا ، الإمام علي هو آتى الزكاة وهو راكع ، هل هو سيتأمل في الفقير ويعرف من هو ؟ . أوالفقير نفسه هل سيعرف من هو هذا الذي أعطاه ؟ . أليست هذه في حد

ذاتها تبين لنا ميزة مهمة في الإمام علي عليه السلام؟ . لأنه أحياناً قد يقدم لك هذا خدمة لأنه يعرفك وتعرفه معرفة يستحي معها أن يعرفك ثم لا يعطيك شيئاً، علي (عليه السلام) أعطى وهو أثناء الركوع وهذه ميزة أكثر من لو أعطاه وهو أثناء القيام، لو تعرّض له الفقير وهو أثناء القيام في الصلاة ربما لاتجه الفقير إليه لأنه عرف ملامحه أنه ربما يكون لديه شيء ، أو ربما أن الإمام علياً عليه السلام رأى الفقير فرأى حالته الرثّة فأشفق عليه فأشار إليه بخاتمه، لكنه كان في حالة الركوع وعادة لا يبصر الراكع إلا الأرض، وإنما سمع بفقير يسأل ، هذا الفقير لا يرى الإمام علياً عليه السلام والإمام علي عليه السلام لا يرى الفقير فأشار بيده إليه ليأخذ خاتمه. هكذا يكون من نلحظ فيهم أن تكون نظرتنا إليهم من منطلق المعايير الإلهية والتكامل الإلهي من خلال ما ترسخ في نفوسهم من قيم الإسلام ومبادئه ، هم من سيهتمون بمن لا يعرفهم ولا يعرفونه .

ألسنا نقول دائماً : أبحث لك عن وساطة ؟ . ما هي الوساطة؟ الوساطة هذه تعني شخص يعرف فلاناً وفلان يعرفه، أليست هكذا ؟ . ربما من خلال هذه الوساطة أن تحصل على كذا ، يمكن أن يسهل لك معاملة في المشروع الفلاني ، ابحث لك عن وسيط . أليس معنى (وَسِيط) شخصاً يعرف هذا المسئول وهذا يعرفه ؟ . هذه هي الوساطة .

الإمام الخميني اهتم بمن لا يعرفهم ، وبمن لا يعرفون ربما إلا صوره بعدما صعد ، اهتم بهم فملأ إيران بالمشاريع في مختلف المجالات ، وأصبحت إيران تكاد أن تشرف على أن تكون دولة صناعية، أصبحت تنتج إلى مختلف البلدان إنتاجات كثيرة تصدر حتى السيارات ، ترى شوارع [طهران] كلها سيارات من صناعة محلية لا ترى سيارات يابانية ولا كورية إلا نادراً ، ترى كل ذلك السيل الذي يظهر أمامك في الشوارع كله سيارات إيرانية، ونحن كنا نحرث أيام زمان على ثورين وكان يقدم هذا المظهر مظهراً متخلفاً أمام الحرّاثة ثم نقص ثور ثم غاب الثور واستبدل بحمار .

{وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ} ثم لاحظوا ، متى ما كانت قيادة الناس من هذا النوع فهم من يعرفون كيف يبنون الأمة لتصبح أمة قوية فعلاً . ما الذي يحصل في البلدان العربية ؟ . أليس الزعماء يقدمون أنفسهم ـ فقط ـ أمامنا كأقوياء ، لكن لم يقدمونا كأمة قوية أمام الآخرين فلا يعملون أي عمل يسهم في أن نكون أمة قوية في مواجهة الآخرين .

بينما إيران فتحت المعسكرات للتدريب رجالاً ونساء ، اهتمت ببناء الاقتصاد في مختلف مجالاته ، التعليم في مختلف مجالاته ، احتاجوا ثورة علمية من جديد ، ثورة من جديد بعدما انتصرت الثورة الإسلامية ليعيدوا المناهج ويجعلوها بالشكل الذي يفيد .

نحن لا نجد في واقعنا أي شيء يؤهلنا لأن نكون أمة قوية في مواجهة الآخرين ، أي نحن لا نجد من يبنينا بناءً قوياً لنكون حزب الله ، لأنه من يمكن أن يبني أمة لتكون حزب الله التي تقهر الآخرين من أعداءها، إذا لم يكن هو ممن يمثل رقم واحد داخل ولاية الله ورسوله، ممن يمثل رقم واحد داخل حزب الله، أعضاء حزب الشيطان لا يمكن أن يبنوا أعضاءً في حزب الله، لا يبني حزب الله إلا من هو يحمل الأرقام الأولى في بطاقات حزب الله .

في [بغداد] ترى في منعطف الطريق هنا وهناك في الصحراء صورة كبيرة [للسيد الرئيس] صورة كبيرة جداً ، ومحاطة بهالة، وماطور كهرباء خاص ، وفوقها كشافات وهي هناك في الصحراء .

صاحب تلك الصفات والمعايير الإلهية هو الشخص الذي يمكن أن تُبنى على يديه الأمة بناء عظيماً ، وهكذا من يكون على هذا النحو صاحب تلك الميزات التي ذكرها الله هو من يمكن أن يبني الأمم العظيمة، وأين إيران الآن عن إيران قبل الثورة الإسلامية مع أن الفارق الزمني قليل هو أقل من عمر ملك واحد ممن حكموها قبل الثورة الإسلامية ، أليس هؤلاء هم من يبنون الحياة ويبنون الرجال ويبنون الأمم ، لأنه يهمهم أمر الحياة بالنسبة للناس أكثر مما تهمهم أنفسهم ، هم من يهمهم أن يجعلوا الأمة قوية وعزيزة فيبنوا الأمة حتى تصبح أمة قوية تمثل في بناءها حزب الله .

ارجع للتأكد من هذا إلى الأمثلة الكثيرة في واقع الحياة أمامك هنا وهناك تجد فعلاً أن {وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا} أليس هذا هو الرقم الثالث {وَالَّذِينَ آمَنُوا} هو بداية التولي الحقيقي لرسول الله ثم لله تعالى على نحو تصاعدي ، التولي للذين آمنوا تولياً صادقاً يجعلك فعلاً بالشكل الذي أنت فيه متولٍ للرسول (صلوات الله عليه وعلى آله) والرسول (صلوات الله عليه وعلى آله) عن هذه القناة يجعلك بالشكل الصحيح الذي تكون معه صادق الولاء لله سبحانه وتعالى .

{وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ} يقول المفسرون الآخرون في تفسير {وَهُمْ رَاكِعُونَ} أي: وهم خاشعون، لكن تعال إقرأها وأنت ممن يدين بولاية الإمام علي عليه السلام كم ترى فيها من أبواب الهداية من آية واحدة ، لكن إذا لم يكن أمامك إلا أبا بكر فلا يعطيك القرآن بكله شيئاً بل تخرج منه وأنت ضال ، تجعل القرآن حرباً لله سبحانه وتعالى ، تخرج وأنت تعتقد بأن الله سبحانه وتعالى هو مصدر كل فاحشة وكل ظلم بقضائه وقدره ، تخرج منه وهو يوجب عليك طاعة أي ظالم يحكمك أو أي مجرم كيفما كان ما لم يظهر كفراً بواحاً لأنه قال { أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ } (النساء: من الآية ٥٩) وهاهو ذا ولي الأمر ، هكذا يعطي تولي الآخرين ضربة للأمة من ذلك اليوم إلى الآن .

فمن هنا نعرف عندما يقول الإمام الهادي رحمة الله عليه : (إنه يجب على كل مسلم أن يتولى علي بن أبي طالب) على كل مسلم ؛ لأن ولاية الإمام علي عليه السلام تعتبر حصناً مهماً بالنسبة لك ، هل هذا لمجرد اسم علي؟ . لا، ولكن لأن ولايتك للإمام علي عليه السلام ستفتح أمامك آفاقاً واسعة في مجال الهداية ، تفتح أمامك أبواب الهداية فتهتدي بالقرآن وتهتدي بالرسول (صلوات الله عليه وعلى آله) لأن ((علي مع القرآن والقرآن مع علي)) . ومن هنا نعرف كيف كان مهماً فعلاً ــ باعتبار أن الإسلام هو دين يربي الناس ، هو دين هداية للناس ــ أن المهم هنا جداً جداً أن يُقدم الإمام علي عليه السلام بمواصفاته ، بتلك الصفات التي تبين لنا أعماق أعماق نفسه ، وتبين لنا كيف اهتماماته وكيف نظرته للدين وللأمة . ثم يأتي من يقول: [لماذا لم يذكر علياً باسمه؟ لو كان هو المراد لقال علياً] . هذه نظرة قاصرة جداً تعتبر من الأخطاء التي هي نتاج أخطاء ثقافية تجمعت من هنا وهناك .

الشيء الثاني مما يمكن أن نستفيده من هذه الآية {وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ } هو أن الأمة تحتاج إلى أعلام ترتبط بهم ـ هؤلاء الأعلام ـ هدايتها في دينها ودنياها ، ولا بد أن يكون الله سبحانه وتعالى هو من يحدد ، هو من يبين لنا من هم الأعلام من بعد نبيه (صلوات الله عليه وعلى آله) لنرتبط بهم، فمن خلالهم نهتدي، وعلى أيديهم نهتدي، لأن المسألة ليست مسألة مفتوحة، إذا لم يضع هو سبحانه وتعالى الآخرون سيضعون ، بل وضعوا على الرغم من أنه قد وضع ، سيضع أهل الباطل أعلاماً لأن الباطل يحتاج إلى أعلام ، هل تعرفون هذا ؟ . عندما تقارن بين أساليب الحق والباطل في هذا تجد الأساليب ــ من حيث هي ــ تجد الأساليب تقريباً واحدة ، الباطل يحتاج إلى أعلام فلهذا يحتاج أهل الباطل إلى أن يركزوا أمامك شخصيات أو مجاميع من الشخصيات فيكبرونها وينمقونها ، وينفضون التراب عن خدودها لتبدو أمامك براقة لتنفق بضاعتهم فينفق الباطل فينفق الضلال من خلالهم .

لا بد للإنسان من أعلام ومتى ما حاولت أن تنصرف عن علي عليه السلام فإنك ستنصرف إلى عَلَمٍ آخر لا محاله ، عندما تقول : [لا أريد هذا ولا هذا] فأنت في الأخير ستنصرف إلى الشيطان لأنه آخر واحد . وإذا تهربت من الكل فتقول : [لا أريد لا أبا بكر ولا عمر ولا عثمان ولا علي] ، ألست هنا رفضت علياً عليه السلام رفضت حقاً فماذا بعد الحق إلا الضلال ، إذا كنت لم ترضَ بالضالين الصغار فإنك سترتبط بالضالين الكبار ، وليس معنى قولك ذلك إلا أنك تريد الضالين الكبار ترتبط بهم فقط ليس إلا هذا فقط، عندما تقول : [لا أريد معاوية ولا أبا بكر ولا عمر ولا عثمان ولا غيرهم] . فكأنك تقول : أنا لا أريد أن أتعامل مع هؤلاء الضالين الصغار أنا سأتعامل مع الكبير ستقع في حضن الكبير بكله وهو الشيطان، الشيطان هو هناك في الأخير هو في المضيق ، تهرب

كيفما شئت فلا يعجبك هذا ولا هذا فأنت في طريق الشيطان لأنه في المضيق سترى أنه ليس لك إلا هو ، ليس بالإمكان أن يبقى الإنسان بدون أعلام يرتبط بهم .

نجد الآيات هذه تشهد بأنه لا يمكن أن تهتدي الأمة إلا على أيدي أعلام حتى تصبح بمستوى أن تكون حزب الله ، أو أي مجموعة أخرى ولهذا جاءت العبارة بلفظ {وَمَنْ يَتَوَلَّ} من يتولّ سواء الأمة بكلها أو مجاميع من الأمة تتولى توليآ صادقآ على هذا النحو العملي فسيجعلون أنفسهم حزب الله فعلاً .

أنهم بحاجة إلى أن يكونوا حزب الله ويكونوا غالبين لا بد أن يرتبطوا بأعلام، فالهداية التي هي في واقع النفوس فتسلم النفوس من أن ترتد بعد إيمانها، من أن توالي أعداءها لا بد لها من الارتباط بأعلام تتولاهم ، وهي تهتدي في ميدان المواجهة للآخرين لا بد أن ترتبط بأولئك الأعلام الذين وضعهم الله سبحانه وتعالى ووضعهم الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله) لنا من بعده أن نرتبط بهم حتى نهتدي في ميدان المواجهة ؛ ولهذا قال هنا { وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ } فمن هنا نعرف كطلاب علم ، ونعرف كمسلمين بصورة عامة أنه لا يمكن أن تتصور أن بإستطاعتك أنت شخصياً أن ترسم لك منهجاً وتسميه هداية من جهة نفسك وتنطلق عليه وتظن أنك ستهتدي إذا لم ترتبط بأعلام للهدى ، لا بد من الارتباط بأعلام للهدى تتولاهم وتذوب في شخصياتهم .

وهم بالطبع من يضعهم الله أعلاماً لأمته فإنما يضعهم كاملين {وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ } (القصص: من الآية ٦٨) هو الذي يختار وليس لنا نحن أن نختار ، هو الذي إذا آمنا بهذا المبدأ ــ مبدأ الكمال فارتبطنا بالله الكامل الكمال المطلق وارتبطنا برسوله الذي اصطفاه واختاره فأصبح كاملاً وارتبطنا على وفق هذا النهج بالكامل ــ فالله سبحانه وتعالى هو الذي سيقدم لنا الكامل بدأ من علي عليه السلام .

حتى مقاييس الكمال هي دقيقة جداً جداً ، ليس لي حتى صلاحية أن أحدد مقاييس الكمال فأقول : الكمال هو كذا وكذا ..إلى آخره ، سيأتي آخرون ويقولون : ليس كذلك بل الكمال هو كذا وكذا الخ ، نثق بالله ونثق برسوله ثم نمشي على ما يهدينا إليه ، والله سبحانه وتعالى هو من سيضع لأمته أعلاماً يختارهم ويؤهلهم ليكونوا جديرين بهداية الأمة وجديرين بقيادتها ، ألم يكن الإمام علي عليه السلام هو الرمز الواحد من بين كل تلك المجاميع الكثيرة التي كانت تقف أمام النبي (صلوات الله عليه وعلى آله) فبرز هو علماً حتى أصبح كل شخص من أولئك ملزماً بأن يتمسك بذلك العَلَم ويتولاه ويهتدي بهديه ويسير على نهجه .

فهذه المسألة الارتباط بمبدأ الكمال هو وحده الذي يعطي الضمانة بالنسبة لنا أن تبقى المسألة بيد الله سبحانه وتعالى، أن تبقى مسألة من هو الجدير بأن يهدينا، من هو الجدير بأن يَلِيَ أمرنا مرتبطة بالله سبحانه وتعالى كما قال الإمام الهادي عليه السلام : (أن الله هو الذي يختار ، هو الذي يؤهل) .

[إذا لم نعمل على]مراعاة الارتباط بهذا المبدأ العظيم الذي عمل القرآن الكريم على ترسيخه في أذهاننا فسيُقدم لنا أشخاص كثيرون، ويُقدم رموز وهميُّون كثيرون لا يعتبرون كاملين ممن أختارهم الله سبحانه وتعالى ، وليسوا جديرين باختياره .

عندما تتحدث الزيدية في كتبها عن شروط الإمامة أليسوا يضعوا شروط كمال ؟ . فيقولون : أن يكون عالماً وأن يكون مدبراً وأن يكون سليماً وأن يكون شجاعاً يكون تقياً ورعاً زاهداً رحيماً بالأمة وعادلاً . .إلخ ، ألم يضعوا شروط كمال ؟ . لماذا الكمال ؟ . ومن أين مصدر الكمال ؟ .لأن الكمال يأتي من قبل الله سبحانه وتعالى هو الذي يختار وهو الذي يصطفي {ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا} (فاطر: من الآية ٣٢) الاصطفاء الإلهي يأتي دائماً في كل مقام يرتبط به سبحانه وتعالى بالنسبة لعباده ، فإذا أصبحت المسألة لدينا على هذا النحو فمعنى ذلك أن هذا هو الضمان الذي يجعل القضية بيد الله سبحانه وتعالى ، هو الذي يؤهل ، هو الذي يكمل ، هو الذي يختار ، فإذا ما نسفنا مبدأ الكمال هذا بكله ظهر على السطح الكثيرون جداً .

لاحظوا في قضية الإمامة ، عندما يحاربون الإمامة فهل تظنون بأنهم يحاربون اسم [إمامة] هذا واحد من مقاصد الصهيونية من محاربة العناوين والمفردات ــ مع أن كلمة إمام أطلقت في القرآن الكريم على البر والفاجر

{وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ} (القصص: من الآية ٤١) وفي موضع آخر {وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا} (السجدة: من الآية ٢٤) ـ وهم حاربوا مبدأ كمال أن لا يترسخ في ذهنية الناس ، لماذا ؟ . لأنه متى ما نسفنا هذا الكمال الذي لا بد منه فسنصل إلى أن نحكم الناس ، سأصل أنا إلى أن أحكم الناس متى ما نسفت شروط الكمال ، أليس هذا هو الذي حصل؟ . وهو الذي يقدم في كل الدساتير في البلدان الإسلامية، لا يُشترط في زعيم البلد الفلاني إلا أن يكون من نفس الوطن، وأن يكون عمره كذا ، وأن لا يكون قد صدر في حقه حكم شرعي يخل بالشرف ما لم يُرد إليه اعتباره. هذه هي الشروط فقط أليس الكثير سيكون على هذا النحو وإن كان من الشارع، وإن كان ممن لا يهمه إلا مصلحة نفسه، وإن كان ممن لا يعرف كيف يدير شئون أمة، بل ممن لا يعرف كيف يدير شئون أسرة .

أليست الدساتير فتحت المجال أمامهم ؟ ، وعن أي طريق ؟ . عن طريق نسف الكمال الذي لا بد منه ، عندما يقولون يجب أن يكون كذا وأن يكون كذا وأن يكون .

أليست هذه معايير دينية معايير إلهية ؟ . لماذا تجعل المعايير إلهية ؟ . لنربط المسألة بالله سبحانه وتعالى وهو الذي سيصنع وهو الذي سيؤهل ، هو الذي سيكمل هو الذي سيختار كما نص على ذلك الإمام الهادي عليه السلام.

بل تأثرت الزيدية نفسها عندما غابت عن المعايير التي وضعها الإمام الهادي عليه السلام باعتبارها معايير إلهية في بداية كتاب (الأحكام) فظهر لنا أئمة حتى داخل الزيدية ليسوا جديرين بأن يحكموا الأمة، وصدروا في تاريخنا كأئمة من أهل البيت وليسوا كاملين ولا مؤهلين ،فعلاً وهم لا زالوا كثيرين في سلسلة أئمة الزيدية في كتبنا لأنهم جاءوا فيما بعد فجعلوا المقاييس مغلوطة للكمال هذا نفسه مثل أن يكون عالماً، ويعني ذلك أن يكون مجتهداً، ومعنى أن يكون مجتهداً أن يكون قد قرأ كذا كذا كذا إلخ .

ألم تصبح المقاييس مادية في الأخير ؟ ، بينما الإمام الهادي عليه السلام قدم نحو صفحة وهو يتحدث عن مواصفات من هو الأولى في ولاية أمر المسلمين قدم صفحة كاملة ، وقال في الأخير فيما معنى كلامه أن الله هو الذي يؤهل ، إذا ما ارتبط الناس بالله على هذا النحو هو الذي سيؤهل . لكن جئنا فيما بعد وقدمنا معايير مادية لنسف المعايير الإلهية فانحطمنا فظهر لنا أئمة كانوا فعلاً ممن رسخ مبادئ الاختلاف داخل هذه الطائفة نفسها وبدلاً من أن يقدموا لنا علوم أهل البيت وحدها أضافوا لنا ركاماً من علوم الطوائف التي هي طوائف ضلالة فشغلوا أوقاتنا ،وشغلوا بيوتنا بركام الكتب من هذا القبيل بدل أن يحفظوا لنا علوم القرآن الكريم وعلوم العترة الطاهرة ، ركام من أقوال الآخرين تضيع عليك سنين من عمرك ، تضيع عليك حياتك تضيع وقتك تضيع الكثير من أعمالك .

ولنعرف أن المسألة هامة فعلاً أنها إما أن تكون ضمانة تجعل القضية بيد الله سبحانه وتعالى أو يكون نسفها يُهيئ الواقع لتكون في متناول كل من هب ودب ، لأنه ما الذي يحصل ؟ . حتى لو قلنا ليس شرطاً أن يكون من يلي أمر الأمة من أهل البيت تعالوا إلى الشروط الأخرى فضعوها في الدستور لتكون هي شروط في من يلي أمر الأمة ، لن يقبلوا هذا ، أتظنون أن المسألة فقط هو محاربة لأن يكون الشخص الذي يلي أمر الأمة من أهل البيت ليس هذا فقط بل يحاربوا أن يكون كاملاً كمالاً إلهياً وفق معايير إلهية ، عندما تقول يجب أن يكون من يلي أمرنا عالماً بالدين ، عالماً بالله، متقياً لله، رحيماً بالأمة، تقياً، ورعاً، زاهداً، أليست هذه معايير قرآنية ؟ . حاول أن تضعها في قاعة مجلس النواب لأن تكون ضمن النص الدستوري في مواصفات من يلي أمر هذا البلد أو ذلك البلد لن تقبل بل ستحارب .

أولئك الذين يحاربون الإمامة باعتبار إمامة أهل البيت نقول تعالوا: إذا كنتم ترون أن المشكلة هي مشكلة أهل البيت لكن قدموا للأمة أنه يجب أن يكون من يلي أمرها متوفرة فيه المعايير الإلهية الأخرى . لن تقبل ، هم مشغولون بأن يحاربوا مسألة أهل البيت وهم في نفس الوقت يؤمنون ببقية الشروط فلماذا لا تقدم الشروط الأخرى وإن سكتم عن أهل البيت، لأنكم تعرفون أن الآخرين لن يسمحوا إطلاقاً أن تكون هذه ضمن الشروط التي لا بد منها في من يلي أمر الأمة ، لماذا ؟ . لأنها معايير إلهية، لا تتوفر إلا على يد الله سبحانه وتعالى ونحن لا نريد أن نربط المسألة بهذا، نحن نريد أن نحكم، أنا أريد أن يكون المجال أمامي مفتوحاً لأحكم بدون شرط

ولا قيد، عندما يقال لا بد أن يكون عالماً وأنا لست عالماً إذا فكيف أحكم، أليس هذا شرطاً جديداً علي إذاً سنلغيه، وهكذا هذا الذي يحصل .

ولهذا نفس الآية هذه عندما تعرض معايير إلهية في المؤمن الذي تتولاه{الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ } وعادة ما يعرض القرآن الكريم صفتين أو ثلاثة هي نموذج يدل على ما وراءها ؛ لأنه عرض مجمل نواحي شخصيته في صفتين تدلك على ما بعدها من صفات الكمال والمعايير الإلهية .

وأين أتت هذه الآية؟ . ألم تأت في إطار الحديث عن خطورة بني إسرائيل، وأن خطورة بني إسرائيل تتمثل في اتجاههم نحو إفساد القلوب والنفوس لصنع ولاءات ، لصنع أعلام ، لصنع ثقافات ، أليس هذا مما عمله بنو إسرائيل والله تعالى قال في القرآن الكريم بأنهم يمتلكون قدرة رهيبة في مجال لبس الحق بالباطل { يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ } (آل عمران: ٧١) إذاً إذا لم نلتزم نحن بأن نسبق الآخرين إلى قلوبنا نسبق نحن الآخرين إلى قلوبنا إلى مشاعرنا لنملأها بالولاء الصحيح وفق المعايير الإلهية فإنهم هم سيأتون ليضعون لنا أعلاماً آخرين يصلون بهم إلى أعماق نفوسنا فتكون أعلاماً للباطل، أعلاماً للضلال أعلاماً لا تقدم ولا تؤخر ، ليست أكثر من تزييف لعقولنا ، وتزييف لمشاعرنا، وصرفاً لاهتماماتنا عن المحل الذي يمكن أن يكون لها جدوى إذا ما اتجهت إليه، ألم يركزوا أسامة بن لادن وتصيح منه أمريكا ، إنه . . وإنه، ألم يكبروه جداً أمام الناس ؟ كبروه جدا .

إذاً كان من المحتمل لو كانت المسألة على هذا النحو يشكل خطورة بالغة عليهم وكان قائداً إسلامياً صحيحاً مخلصاً للأمة ويحمل رؤية صحيحة في مواجهة أعداء الله لكان تعاملهم معه تعاملاً آخر ، ولما احتاجوا إلى أن يحركوا ولا قطعة واحدة من أسلحتهم فالمخابرات الأمريكية واسعة جداً تستطيع أن تضربه أينما كان.

تعرض السعودية في التلفزيون عن الوزير السوداني بأن (كلنتن) رفض عرضاً بتسليم أسامة بن لادن .

ألم يقل الأمريكيون لطالبان في أفغانستان أنها لا بد أن تسلمه وإلا فسيضربون أفغانستان؟ . وهم رفضوا عرضاً في أيام الرئيس الأمريكي الأسبق (كلنتن) الذي تولى قبل الرئيس هذا (بوش) وأمريكا من زمان ترمز أسامة هذا ، وهو رفض عرضاً بتسليم أسامة يعني أنه كان بالإمكان أن يسلموا أسامة لأمريكا ولكنه رفض ، لا نريد أن نقضي على أسامة نحن نريد أن نرمزه فنجعله علماً نخدع به هؤلاء المساكين المسلمين ، أليس هذا لبس للحق بالباطل ، أليس هذا صنع ولاءات يجعلك تتولى أشخاصاً وهميين أشخاصاً لا يشكلون أي خطورة على أعدائك، أشخاص يكون ولاؤك لهم ولاءً لا يسمن ولا يغني من جوع ، يكون اهتمامك بهم اهتماماً ليس في محله ، اهتمام يتبخر في الأخير ، حتى ولو قتلت بين يديه لا يصبح لدمك أي قيمة ، حتى لو بذلت أموالك إليه لا يصبح لمالك أي قيمة في الأخير ، إنه خداع رهيب ، وتزييف رهيب ، يجعل كل شيء لا قيمة له ، حماسك بكله يوجهونه إلى حيث يتبخر فلا يصل إليهم حتى ولا رذاذ من ذلك البخار . هنا تبدو القضية مهمة إذا لم نتولى علياً عليه السلام ثم نمشي في الخط المرسوم لنا أن نتولّى أعلامه سنصبح عرضة لأن يصنع لنا الآخرون أعلاماً وهمية لنتولاها ، أعلاماً للباطل وتساند الباطل وتضع الباطل وتصرف عن الحق فنتولاها .

أنت تقول : فلان عالم ، الله يقول {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيراً مِنَ الْأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ } (التوبة: من الآية ٣٤) هذا يبين أن المسألة حتى غير متروكة لك فتتأثر بهذا أو بهذا دون مقاييس إلهية وأنت تتولى الأعلام الذين اختارهم الله وعينهم وحددهم تتولاهم فتسلم من أن تكون عرضة لزيف الولاءات وصنع أعلام هي في الواقع تضر القضية التي أنت تتولاه من أجلها ، تضر بالقضية نفسها التي أنت تتولاه من أجلها ، أما هنا فالتولي صحيح حيث تكون الولاية للأعلام الذين رسمهم الله للأمة ونصبهم للأمة فإن الولاية تعطي ثمرتها ، ألم يقل هنا { فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ } طالبان ماذا عملوا ؟ . ألم ينسحبوا من المدن ويتبخروا ؟ . ولم ندر أين ذهبوا ؟ . هل غلبُوا أم غُلبُوا ؟ . لقد غُلبُوا أو تَغَالبوا لأن القضية هي كلها خداع ووهم ، كلها تزييف وتضليل ، حتى لا يبقى للآخرين منفذ لأن يضعوا هنا أو هنا من جانبهم شخصاً آخر وهمياً علماً من أعلام الباطل؛ لأن الآخرين شغالين حتى وإن كان الله قد وضع أعلاماً فهم

يحاولون أن ينصبوا ، ألم يختر علياً عليه السلام علماً للأمة فنصبوا لنا آخرين ؟ . ألم يختر الزهراء لتكون علماً بالنسبة للنساء وقدوة للنساء وجعلها سيدة نساء العالمين فنصبوا أخرى ؟ . هكذا يعمل بدو أهل الضلال دع عنك الخبثاء والمحنكين والدهاة منهم . إذاً فالمسألة مهمة .

وهذه الآيات يجب أن ننظر إليها نظرة جادة فعلاً ، قد تقدم مقاييس معينة هي في الواقع مغلوطة لكن القرآن الكريم هو نفسه إذا ما اهتديت به وسرت على ولاء صحيح لمن نصبهم لك من أعلام الهدى لتهتدي بهم فهو الكفيل بأن يفضح أمامك الآخرين ، الله هو الكفيل بأن يعرفك من خلال القرآن وبتوفيقه فيكشف ويفضح لك الآخرين الذين هم أعلام وهميين عندما تراهم ينتصبون هنا أو هناك تصيح منهم جهة هنا وهناك ، القرآن الكريم لم يغفل أي شيء ، في الوقت الذي هو يوجهك هو يبين لك أيضاً كيف تكون طريق الباطل ، ألم يقل الله سبحانه وتعالى {وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ} (البلد: ١٠) ؟ . يعني وضح لك وبين لك كيف طريق الحق ثم بين لك أيضاً كيف طريق الباطل .

أحياناً يتبين لك من خلال الأشياء التي لا بد منها في جانب من هو عَلَم من أعلام الحق يتبين لك عكسها في الآخر الذي يُرفع أمامك كعَلَم ، لتقول هو خالٍ من هذه إذاً لا يصح أن يكون عَلَماً .

نأتي إلى عمر ، ألم يُقدم عمر وكأنه أزكى شخص بعد رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) أما أبو بكر فإنما قدموه هكذا باعتبار سِنّ الخلافة لأن عمر قدمه وإلا فالولاء الحقيقي عندهم هو لعمر ، في هذه الآية ألم يعرض لنا القرآن نفسية الإمام علي عليه السلام في اهتمامه بالأمة في حرصه على الأمة فيهمه أمر فقير لا يراه والفقير لا يعرف الإمام علياً عليه السلام وإنما يسمع صوته فيتصدق بخاتمه وهو أثناء الركوع ، أليس هذا إنسان رحيم بالأمة؟ . حريص على الأمة؟ . يهمه أمر الأمة؟ . أليس هي مواصفات الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله) الذي قال الله عنه {لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ} (التوبة: ١٢٨) وهو الذي ربى علياً عليه السلام ليكون هكذا تتجسد فيه هذه الأخلاق ، هذه هي المعايير الإلهية .

قالوا عمر عمل وقالوا فعل كذا . . إلخ . نحن نعرف أن القرآن الكريم فيما يركز عليه يعمل على أن يكشف لك الأعماق لأنه يرى أن الأشياء هي من داخل وليست من الخارج ، ألم يكشف لنا نفسية محمد (صلوات الله عليه وعلى آله) { عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ } أين موضع الإشفاق على الأمة والحرص والرأفة والرحمة أين هي ؟ . فوق العمامة أو فوق الغترة أم أنها داخل في النفس ؟ . هل قدم لنا محمد (صلوات الله عليه وعلى آله) بأنه كان يَتَرَكَّعُ كثيراً ؟ . أو أنه يسبح كثيراً ؟ أو أنه كان يقرأ القرآن كله في سجدة ؟ أو أشياء من هذا القبيل ، هل قدمه بهذا الشكل ؟ . هذه شكليات سطحية يمكن أن أنمق شخصاً آخر هو خبيث فأقول هو كان كذا وكان كذا في الشكليات هذه .

من الذي يعرف أعماق النفوس؟ أليس هو الله سبحانه وتعالى؟ هنا كشف لنا نفسية علي عليه السلام التي الأمة بحاجة إليها. لأنه ماذا يريد فيمن يتولّى أمرنا ؟ نحن نريد أن يكون شخصاً يعز عليه أي مشقة أو مصيبة تحصل لنا {عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ } يعني يؤلمه جداً ويعز عليه أي مشقة تحصل عليكم ، أي ألم يصيبكم أي شيء يتألم له كما يتألم عندما يرى واحداً من أطفاله في مشقة أو واحد من أهل بيته من أسرته {حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ} ألم يقدم هذه الأشياء التي تظهر نفسية محمد (صلوات الله عليه وعلى آله) ، هل فيها أنه كان يصلي مائة ركعة؟ . هل فيها أنه كان يقرأ القرآن في ركعة؟ . هذه شكليات، النفس إذا صلحت فهي المهم بالنسبة للأمة، ومن يكون على هذا النحو هو الذي ينفع الأمة ، وهو في نفس الوقت إنما يكون من منطلق علاقته القوية بالله سبحانه وتعالى التي تجعل حتى لتلك الصلوات المحدودة قيمتها في نفسه وقيمتها عند الله سبحانه وتعالى .

وهؤلاء يقولون عن أعلامهم أنه كان يصلي ألف ركعة . الليل لا يتسع ، ينسوا أن الليل محدود . ويقولون : كان يقرأ القرآن في سجدة . ليكن صلى ألف ركعة في ثلاثة أيام وتكون كلها صلاة ، أين الألف ركعة من ثلاث ركعات

من نفسية كنفسية رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) في انشدادها القوي نحو الله سبحانه وتعالى وفي ما تتركه الصلاة من أثر في نفسه ، تبدو الألف ركعة لا قيمة لها لا عند الله ولا في نفس هذا الشخص ولا في واقع الأمة .

رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) كان يتعبد لله لكن تلك العبادة التي لها قيمة العبادة التي لها قيمة فيما تتركه في نفسه وفيما يكون لها من أثر في واقع الأمة .

وعندما نأتي إلى الإمام علي عليه السلام {يُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ} فكشف لنا ما كشف عن واقعه في نفسه مما لا بد منه بالنسبة لنا ونحن في أمس الحاجة إلى أن يكون من يلي أمرنا على هذا النحو ، ويأتي من قبل الله ما يدلنا ويرشدنا إلى أنه على هذا النحو ، وتتجلى الأشياء أحياناً بمظاهر معينة صادقة حيث قد لا تكون عادة مظاهر جذابة كما حصل من علي وفاطمة عليهما السلام في إطعامهم المسكين واليتيم والأسير . ألم يكشف هناك أيضاً كيف أنهم يؤثِرُون الآخرين وكيف أنهم ينطلقون في إطعام الآخرين والاهتمام بهم وإيثارهم على أنفسهم من منطلق ابتغاء وجه الله، وإن كان هذا الشيء الذي أعطوه وقدموه هم في أمس الحاجة إليه ، ولأنهم أعطوا من ؟ . مسكين ويتيم وأسير، هل هذه مظاهر جذابة ؟ . لو قيل لك أن فلان أطعم مسكيناً فلن تتأثر من هذه .

لاحظوا لما أصبحت القضية حتى عند من يحاولون أن يلمعوا الآخرين في أذهاننا كيف يعملون ؟ . يظن أنه لو قال أن أبا بكر أطعم مسكيناً أو آثره بقرص فليست فضيلة في نظره ، لأنه يريد آلاف من المساكين فيقول أطعم ألف مسكين أو صلى ألف ركعة ، يريد كبار من هذه . لكن المسألة ليس المقاييس فيها هي الشكليات أن هذا أطعم ألف مسكين وهذا أطعم مسكيناً واحداً فقط ، أن هذا أعطى في غزوة ثلاثين ألفاً وهذا أطعم مسكيناً واحداً ، القرآن يهتم أن يركز على المظاهر وإن كانت صغيرة التي لها دلالاتها المهمة بالنسبة لأعماق النفوس ليكشف لك نفسية هذا ، هذا هو الذي يهم .

{وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِيناً وَيَتِيماً وَأَسِيراً } (الإنسان: ٨) لاحظوا حتى التقليل في العبارة هنا مسكيناً واحداً أول ليلة ويتيماً واحداً ثاني ليلة أسيراً واحداً ثالث ليلة أليس معنى ذلك أنهم أطعموا ثلاثة أشخاص؟ .

المفروض بعقلية من يراعون الشكليات أن يقال أعطى مئات الناس ، لكن عطاء مئات الناس أحياناً لا يكون له قيمة بل يشطب عليه عند الله سبحانه وتعالى ، وليس له قيمة حتى عند الإنسان الذي بذله ، لأن العطاء إذا لم يكن من داخل ، وتبتغي به وجه الله ، وإن كان لفرد واحد ، العطاء إذا لم يكن على هذا النحو تبتغي به وجه الله ومن أعماق نفسك يكون له أثره في تزكية نفسك أنت ، لكن متى ما أعطيت مراءات لو تعطي مليوناً لن يصنع في نفسك أثراً أبداً ولن يزكي نفسك مهما عملته مراءات أو لأي غرض آخر ليس على هذا النحو { إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلا شُكُوراً } (الإنسان: ٩) ولا نريد من الآخرين أن يثنوا علينا ولا أن يمدحوا، لأنه بالطبع من سيثني علينا أنا أطعمنا يتيماً ، يتيماً واحداً لا يكون الحديث عنه جذاباً ، لكن ألف شخص يعمل لهم وليمة يكون الحديث عنه جذاباً ، أليس كذلك ؟ . القضية ليست على هذا النحو بل يكشف لنا أعماق نفسيات هؤلاء الذين يشدنا إليهم كأعلام .

أطعم مسكيناً ويتيماً وأسيراً ، فقط ثلاثة! ، ليس المهم هو العدد المهم هو أجواء العطاء والنفوس التي انبعث منها ذلك العطاء والدوافع نحو العطاء هي التي أردنا أن نكشفها لك ، فتعرف من هم هؤلاء ، والذين يعطون على هذا النحو سيعطون الأمة كلها كلما يملكون ، أليس هذا هو المهم ؟ .

إذاً فلنرجع إلى (أمير المؤمنين عمر) ـ كما يقولون ـ لنكتشف في قضية واحدة هم يعرفونها وينقلونها ويروونها هم ويعترفون بها : أثناء مرض النبي (صلوات الله عليه وعلى آله) أليس النبي هو الشخص الذي يجب أن يحترمه الناس ويجلوه ويقدروه وتكون قلوبهم مملوءة بالرحمة والرأفة والعطف عليه أثناء مرضه ـ أليس مرضه في تلك المرحلة وبعد تلك المؤشرات التي تدل على أنه يوشك أن ينتقل إلى ربه، مما يترك الخوف والرعب والإشفاق في نفوس الناس وتكبر لديهم المسألة فيكون إنشدادهم إليه أكثر وعطفهم عليه أكثر أن

يرونه مرة واحدة يركزون بأنظارهم على وجهه ليتمتعوا بما يمكن أن يروه من وجهه في بقية أيامه ، يطلب مطلباً أي مطلب كان أن ينفذوه .

ولكن ماذا حصل ؟ . ولأنه (صلوات الله عليه وعلى آله) كما وصفه الله {حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ } يهمه أمر الأمة من بعده لا تضل لا تختلف لا تتمزق لا تتفرق ، لا يبرز أشخاص يضلونها يدمرونها يهلكونها ، وعلى الرغم مما قد عمل يوم الغدير وغيره يقول: ((هَلُمَّ أكتب لكم كتاباً لا تضلوا بعده)) يقول هذا والحمى تلهب جسمه ، لكنه ما يزال يحمل اهتماماً بأمر المسلمين بأمر الأمة يريد أن يعمل ما يمكن أن يعمله حتى في اللحظات الأخيرة من حياته، أليس هذا يهمه أمر الأمة ؟ ، حريص عليها مشفق عليها ؟ ، كان في مجلسه عمر ومجموعة كبيرة، فيقول عمر : لا، حسبنا كتاب الله ويثير ضجة وآخرون يلتفون حول عمر يفهمون ماذا يريد عمر ويفهمون ماذا يمكن أن يقول الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله) في ذلك الوقت فهم عارفين الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله) يركز حول علي عليه السلام، يرمز علياً عليه السلام ويشد الناس نحو علي عليه السلام إذاً هو سيكتبها لعلي ، لا . لا ، حسبنا كتاب الله، دعوا الرجل فقد غلبه الوجع، دعوا الرجل فإنه يهجر . آخرين يقولون هاتوا قلماً ودواة ليكتب لنا رسول الله هذا الكتاب الذي لا نضل من بعده . فيقول عمر وبإصرار : لا . لا . ألم يسمع أن الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله) يقول عن الكتاب (لا تضلوا من بعده)؟ . إن كان يهمه أمر الامة فسيكون حريصاً جداً جداً على كلمة واحدة فيها أمان للأمة من الضلال ، والسلامة للأمة من الضلال لأنه يعلم أن الذي تكلم بهذه العبارة هو رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله)، لكن لا ، هو يعلم ماذا سيصنع النبي (صلوات الله عليه وعلى آله) وسيعارضه لأن له أهدافاً، له آمالاً أخرى، هو لا يهمه أمر الأمة تضل أو لا تضل فيحول بين الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله) وبين كتابة هذا الكتاب بعد أن سمع من الرسول (أكتب لكم كتاباً لا تضلوا بعده) ألم يكشف لنا هنا نفسية عمر أنه إنسان لا يهمه أمر الأمة ، أنه إنسان لا يتألم فيما إذا ضلت الأمة ، أنه إنسان يحول دون كتابة كلام يحول دون ضلال الأمة ، هل هذا إنسان يهمه في أعماق نفسه أمر الأمة وأمر الدين ؟ . لا . إذاً فهذه النوعية هي التي لا تصلح إطلاقاً أن تحمل لها ذرة ولاء وإن نُمِّقَتْ أمامك وادّعوا لها الآلاف من الفضائل من هذه الشكليات مثل ألف ركعة ، وأنه قرأ القرآن في سجدة ، وأنه يتبخر من فهمه رائحة الشّواء من خوف الله وعناوين من هذه .

لا، رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) الذي هو إنسان قرآني يتحرك بحركة القرآن ويعرف قدرة القرآن على كشف الآخرين ، يكشف للناس في آخر أيامه نفسية عمر ، ويكفينا أن يكشف لنا نفسية عمر لأن عمر أصبح عَلَماً للخط الآخر ، عمر هو مهندس كل تلك المتغيرات من الصعود بأبي بكر ، والإمام علي عليه السلام كشف المسألة أيضاً فقال لعمر ((إحلب حلباً لك شطره، شدها له اليوم يردها عليك غداً)) . وعمر هو الذي قال لأبي بكر: (أمدد يدك لأبايعك) ألم يرفع أبا بكر بين الضجة ؟ . هو الذي هندس للخلافة أن تصل إلى عثمان ، هو الذي هندس ورتب أوضاع معاوية أن يكون في الشام هو الشخص الذي يمكن أن يكون مؤهلاً لأن يضرب علياً متى ما تحرك هو أو أحد من أهل بيته في أي فترة، هو الذي رفع بني أمية بعد أن وضعهم الإسلام، وأصبحوا مجتمعاً منحطاً في نظر الأمة، هو الذي رفعهم من جديد فأصبحوا يمتلكون الأموال الهائلة، وأصبح لهم علاقات واسعة في أوساط كثير من زعماء العشائر في هذه الأمة .

إذاً من خلال أن يكشف عمر وكل من يدور في فلك عمر أنهم ليسوا جديرين بأن يلوا أمر الأمة ولا أنهم يهتمون بأمر الأمة ، أليس هذا هو الذي حصل ؟ . وبعد ذلك فليقولوا ما يقولون : فاروق ، صدّيق وأشياء من هذه لو يقولوا ما يقولون . كلمة (فاروق) أليست كلمة كبيرة ، فيظهر لك عمر يرتفع إلى هناك ، لكن تعال إلى القضية التي رواها البخاري وغيره ورووها هم مؤرخين ومحدثين أنه عارض أن يكتب رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) كتاباً لا تضل الأمة من بعده ، ألم يشهد عمر هو على نفسه أنه لو كان لديه احتمال بأن رسول الله سيكتب شيئاً يتعلق به وبصاحبه وأنه قد يرفعهم لقدم برميلاً من المداد وليس دواة ولحاول أن يُقدم أي شيء يكتب به النبي (صلوات الله عليه وعلى آله) ليكتب المكتوب إذا كان سيكتب شيئاً يتعلق بأبي بكر أو عمر يجعلهم أعلاماً للأمة ، لكن هو يعرف أنه لن يكتب شيئاً إلا وهو يقصي الأمة عنهما، أنه سيكتب ما يقصي الأمة عن أبي بكر

وعمر، إذاً فسيكتب لهم ورطة أخرى كما فعل يوم الغدير. يوم الغدير صعد رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) هو وعلي عليه السلام فوق أقتاب الإبل ورفع يد علي عليه السلام وقال: ((من كنت مولاه فهذا علي مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه وانصر من نصره واخذل من خذله)) تكفي هذه الورطة ويريد الرسول أن يعمل لنا ورطة أخرى إضافة إلى هذه .

يمكن أن نتأول كلمة [مولاه] التي جاءت في حديث الغدير فربما تعني، أو أنها تعني. والمكتوب الذي كان يريد الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله) أن يكتبه ألم يعمل عمر دعاية تضرب المكتوب ، وهذا الذي جعل النبي (صلوات الله عليه وعلى آله) يتوقف ويقول أخرجوا إنه لا ينبغي عند نبي تنازع ، وأصبح غالب من في مجلس الرسول هم يدورون في مجلس عمر عندما قال حسبنا كتاب الله ، دعوا الرجل فقد غلبه الوجع ، إنه يَهْجُر .

لكن لو كتب النبي (صلوات الله عليه وعلى آله) كتاباً فعمر قد عمل الدعاية ضد ذلك الكتاب سيقول هذا الكتاب لا ينفع لأنه كتبه وهو في حالة مرض لا يعرف ما يتكلم فلا يعمل به، لم يكتبه في حالة الصحة والاختيار شرعاً ، فيضرب المكتوب ، لكن النبي (صلوات الله عليه وعلى آله) في هذا الموقف المهم كشف لنا عمر بشكل رهيب ، بل هو بيّن لنا بياناً لا يضل الناس بعده إن فهموا حتى وإن لم يكتب في الأوراق فقد كتب في أعماق الكون وفي التاريخ وكتب في القلوب إن كانت تفهم، أني كشفت لكم عمر أنه لا يهمه أمركم أن تضلوا فإذا كان لا يهمه أمركم أن تضلوا فعمر وكل من يدور في فلكه ليسوا أمناء على الأمة، ولا يمكن أن يكونوا هم الأعلام الذين تقتدي بهم الأمة ، ولا يمكن أن يؤيد الإسلام ولا كتابه ولا رسوله (صلوات الله عليه وعلى آله) أن تلتف الأمة حول عمر ويكون علماً لها كما يصنع الآخرون ، ألم يكشف الرسول هذا كما كشف القرآن نفسية علي عليه السلام ؟ . ومن خلال نفسية علي عليه السلام هنا تعرف نفسية عمر هناك .

وهذا ما يجعلنا فعلاً نثق بأنه متى ما سلمنا قلوبنا ، متى ما سلمنا مشاعرنا لله سبحانه وتعالى وانطلقنا بثقة عالية إلى القرآن نتثقف به، فسنعرف كل شيء، فالقرآن تفصيل لكل شيء ، وستكون إنساناً لا يمكن أن تُضل ، إنساناً لا تُخدع ، إنساناً تفهم الأحداث ، تفهم أهمية الأحداث ما كان منها حقاً وما كان منها باطلاً، تفهم خطورة الأحداث التي قد تكون صغيرة عند الآخرين، يجب أن نلتف حول القرآن وأن نكون صادقين في ولائنا للإمام علي عليه السلام وأن نعرف أهمية التولي للإمام عليه السلام وإن كنا نرى أن بيننا وبينه ألف وأربع مائة سنة .

لن نكون من حزب الله الغالبين ما لم نكن على هذا النحو من الولاء لعلي عليه السلام، الولاء الصادق الولاء العملي الذي يجعلنا نستلهم من علي عليه السلام كيف نتحلى بأخلاق علي ، كيف نتحلى بنظرة علي عليه السلام وباهتمامات علي عليه السلام ، وسنرى كيف سنكون في مواقفنا في اعتقاداتنا في نظراتنا في توجهنا منسجمين مع القرآن لأن ((عليٌّ مع القرآن ، والقرآن مع علي)) .

أسأل الله سبحانه وتعالى أن يجعلنا ممن يتولى علياً عليه السلام تولياً صادقاً ، وأن يثقفنا بالقرآن ، ويفقهنا بالقرآن ، ويفهمنا القرآن .

وصلى الله على محمد وعلى آله الطاهرين،،،

أسأل الله سبحانه وتعالى أن يوفقنا وأن يهدينا وأن يبصرنا وأن يلهمنا رشدنا إنه على كل شيء قدير.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

[الله أكبر/ الموت لأمريكا / الموت لإسرائيل/ اللعنة على اليهود / النصر للإسلام]

تم هذا الإخراج الجديد
بإشراف
يحيى قاسم أبو عواضة
بتاريخ ١/ رمضان /١٤٢٧ هـ
الموافق ٢٣ / ٩ / ٢٠٠٦م